الطلاسم في الكمالات المحمدية

للإمام الشهيد، العلم الأحمدي، حجة الإسلام والمسلمين عقلاً ونقلاً
الذي اشرأبت إليه الناس في المشرق والمغرب
أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني
المستشهد بفاس عام 1327 هجرية، رضي الله عنه وقدس سره العالي بمنه وكرمه

محمد صلى الله عليه وسلم

اعتنى به
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي





للإمام الشهيد، الختم الأحمدي، حجة الإسلام والمسلمين، عنقاء مغرب
التي اشرأبت إليها الناس في المشرق والمغرب
أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني
المستشهد بفاس عام 1327 هجرية، رضي الله عنه وقدس سره العاطر بمنه وكرمه

اعتنى به
الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي



AL-ṬALĀSIM FĪ AL-KAMĀLĀT AL-MUḤAMMADIYYA

الطلاسم في الكمالات المحمدية

Author : *Al-Imam Mohammed ben Abdulkabir Al-Kitany (D. 1327 H.)*

المؤلف : الإمام محمد بن عبدالكبير الكتاني (ت ١٣٢٧ هـ)

Editor : *Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali*

المحقق : الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

Classification : *Sufism*

التصنيف : تصوّف

Year : *1441 H. - 2020 A.D*

سنة الطباعة : ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

Pages: *112*

عدد الصفحات : ١١٢

Size : *17 × 24 cm*

القياس : ٢٤ × ١٧ cm

Printed in : *Lebanon*

بلد الطباعة : لبنان

Edition : *First edition*

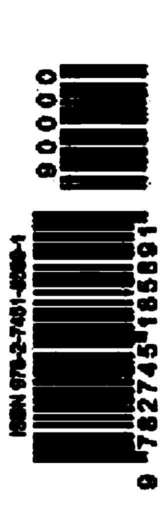
الطبعة : الأولى



Mazraa, Ras Nabea, Mohamad Al Hout street, Katerji building, First Floor, Beirut-Lebanon

Tel:+961 76 944 885 - P.O.Box: 11-374 Riyad Al-Saleh

Email:books.publisher2019@gmail.com



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم

بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم، الكنز المخفي، المتجلي بأسمائه وصفاته مظهرًا الأعيان الثابتة في عمله بمقتضى التجلي الأقدس المطلق والمنزّه، ثم بالتجلي المقدس المثبت للمظاهر في عالم الشهادة والملك.

وصلّ اللّهم على سيدنا محمد إنسان عين الوجود الحقي والخلقي برزخ الوجود والإمكان الأول بلاهوته الروحي والآخر بناسوته الجسدي، والظاهر بمكارم الأخلاق البشرية الإسلامية والباطن بكمالات الحقائق الإلهية الإحسانية.

وبعد، فنتقدم للقرّاء الكرام كنزًا من كنوز الحقيقة المحمدية هو كتاب الطلاسم في الكمالات المحمدية للإمام الشهيد الشيخ الأكبر والختم المحمدي في زمنه، حجة الإسلام والمسلمين، عنقاء مغرب التي اشرأب إليها الناس في المشرق والمغرب، أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الإدريسي الحسني، المستشهد بفاس سنة 1327هـ ـ 1909م.

نشره للمرة الأولى السيد الشريف حمزة الكتاب على محرك كوكل في موقع منتدى روض الرياحين وها نحن وتعميمًا للفائدة نطبعه بدورنا محقّقًا لما فيه من أسرار إلٰهية، وكمالات محمدية، آملين أن ينتفع بها السالكون والعارفون والمحبون والعاشقون للحبيب المصطفى ﷺ.

كتبه الفقير إلى الله تعالى والغني به
عمن سواه الشيخ الدكتور عاصم ابراهيم
الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة المؤلف(*)

محمد بن عبد الكبير بن محمد
والمشهور بـ «أبي الفيض الكتاني» وبـ «محمد الكتاني»
(في ربيع الأول 1290هـ - 1873م، مدينة فاس ــ 13 ربيع الثاني 1327هـ - 1909م، مدينة سلا)

هو فقيه متفلسف متصوف وشاعر من أهل مدينة فاس بالمغرب، مؤسس الطريقة الكتانية ومعارض للوجود الفرنسي في المغرب.

ترك من المؤلفات ما يزيد على ثلاثمائة كتاب، طبع منها حوالي 27 مؤلفًا، كما ترك شعرًا يغلب عليه الطابع الصوفي الفلسفي والعشقي.

مسيرته:

والده هو العلّامة عبد الكبير الكتاني الملقب بـ«جبل السنة»، وجده هو الشيخ أبو المفاخر الكتاني، ووالدته هي فضيلة بنت إدريس الكتانية؛ وهي من عالمات الفقه والسلوك.

دخل الكتّاب لتعلم القرآن، فحفظه وهو صغير.

وأعطاه والده وردًا قبل احتلامه؛ وهو: سبعون ألفًا من الاسم المفرد «الله»، وستون ألفًا من اسم رسول الله: سيدنا محمد في كل يوم.

والتحق بجامعة القرويين وببعض مدارس فاس، فأخذ العلم عن كبار علماء زمانه.

ظهرت عليه أمارات النبوغ مبكرًا، فتولى التدريس وهو ما زال شابًا، ومارس الدعوة متنقلًا بين مدن المغرب من مدينة فاس إلى مدينتي الرباط وسلا مرورًا بزرهون ومكناس وغيرها من مدن المغرب.

(*) أبو الفيض الكتاني - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

رحل إلى مراكش عام 1314هـ لتوضيح موقفه للسلطان عبد العزيز، بعدما أشاع عنه خصومه بين الناس الانحراف عن العقيدة ومحاولة الانقلاب على السلطة، فبرأه السلطان من تهمة الانقلاب، وأحال قضية انحراف العقيدة إلى نظر العلماء، فكان الاتفاق على أن تكون بينه وبينهم مناظرة، استمرت عدة أشهر، وانتهت بتبرئته مما نسب إليه، وأصبح بعد هذه المناظرة مستشارًا للسلطان مولاي عبد العزيز. وأقام فيها زمنًا ثم أذن له بالرجوع إلى مدينة فاس فعاد.

الحركة الإصلاحية:

سنة 1321هـ حجّ إلى المشرق حيث تعرّف إلى الدعوات الإصلاحية السائدة آنذاك أيام الدولة العثمانية، والتقى زمرة واسعة من علماء الشرق، كالخديوي عباس باشا في القاهرة، والتقى بشريف مكة المكرمة، الشريف عون، كما زار الحجاز والشام، والتقى بكبار علمائها وزعمائها. وزار أثناء عودته من المشرق مدينتي مرسيليا ونابولي، ووقف على مدى تقدّم أوروبا الصناعي والاقتصادي والاجتماعي.

ولما عاد إلى المغرب، طالب بمجموعة من الإصلاحات السياسية الكفيلة بمحاربة الاستعمار، ودعا إلى الجهاد وطرد المستعمرين من البلاد، وألّف رسائل عديدة تدعو لمقاومة المحتل.

وشارك والده في هذه الحركة الجهادية، وحضر معه مؤتمر القبائل المغربية بمدينة مكناس عام 1326هـ، الذي ألّف وأصلح فيه الشيخ أبو الفيض بين قبائل المغرب، واتفقوا على جهاد المستعمر الفرنسي والإسباني.

تأزم العلاقة مع السلطان عبد الحفيظ:

ثم خلع السلطان عبد العزيز لموقفه المتهاون أمام المحتل الفرنسي، فأراد أهل فاس عقد البيعة للسلطان عبد الحفيظ وتولى الشيخ الكتاني إملاء الشروط وفيها تقييد السلطان بالشورى.

ورفض الشيخ الكتاني قتال عبد العزيز وأتباعه، وتورع عن ضرب المسلمين بالمسلمين، زيادة كما استنكر على السلطان عبد الحفيظ ما قام به من اعتقال لأنصار السلطان المخلوع عبد العزيز بمدينة مكناس، والتنكيل بهم، واستصفاء

أموالهم، ورفض شفاعته فيهم.

وقد طلب الشيخ الكتاني من السلطان مرارًا تطبيق شروط البيعة، وراسله في ذلك مراسلات كثيرة، وحذّره والأمة من مخاطر تردي المغرب في مهاوي الاستعمار. كما أفتى بوجوب مجاهدة المستعمر، ودعا إلى سدّ طريق زعير على الجيش الفرنسي بقوة السلاح، وأهدر دم الخونة واعتبر قتلهم جهادًا أكبر.

ومن جليل ما جرى بين الرجلين من جدال، ما وقع بينهما في مجلس تكلم فيه السلطان عبد الحفيظ فحمل على الصوفية، وسفّه أفكارهم، وطعن في حلقات الذّكر وما يصاحبها من رقص. وكان الكتاني حاضرًا فرد عليه، وقال: «لا يجب أن تنكر الرقص وحده، بل الواجب أن تقوم الآن فتبدأ بمجانات الذهب وظروف النشوى ومجادل الحرير فتزيلها [وكان بيد السلطان حكّ نشوى من الذهب وعليه مجانة ذهبية وحمالة حرير] ثم نخرج، فلا نمر بطريقنا على محل من محال البغي ولا مخمرة إلا سددناها، ثم لا نمر على صاحب دكان لا يعرف كيف يبيع ويشتري إلا أقمناه، فإذا وصلنا للزوايا بحثنا في بدعهم ومناكرهم كذلك.

وأما إغضاء الطرف، وإحداث التوجيهات لكل محرم ومكروه إلا التصوف والصوفية، فتفرقة من غير مفرق، وتخصيص بدون مخصص». فقام السلطان غاضبًا، وخرج الشيخ ساخطًا.

وفاته:

حقد السلطان عليه فساءت حاله وضاقت معيشته فخرج من فاس سنة (1327هـ) قاصدًا بلاد البربر فأرسل السلطان في أثره فرقة عسكرية ألقت القبض عليه وعقدت مناظرة بين الشيخ الكتاني وبين السلطان يعضده جملة من العلماء دامت نصف ساعة ثم لم يلبث أن اعتقل وسجن هو ومن كان معه حتى النساء والصبيان.

وفي عشية السبت 17 ربيع الأول 1327هـ/ 1909م أمر السلطان عبد الحفيظ بجلد الشيخ ألفي جلدة في ساحة سجنه بقصر أبي الخصيصات قرب والده وولده وشقيقه عبد الحي الكتاني. فنفذ فيه ربع العدد المذكور. وكان يردد أثناء الضرب: «اللهم إن كان هذا في رضاك فزدني منه». ثم لم يلبث إلا قليلًا حتى

توفي ـ متأثرًا بما لحقه ـ صبيحة يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني من نفس السنة في مدينة سلا. ولم يناهز عمره السنة السابعة والثلاثين. وأخفي خبر وفاته عن الناس، ودفن بتكتم شديد، ثم طمس قبره حتى لا يبقى للجريمة أثر.

ثبت أن السلطان عبد الحفيظ ندم على فعلته مع الشيخ وعلى تسليمه المغرب لفرنسا، وقام بإعلان توبته وتجديد إيمانه بين يدي الشيخ محمد بن جعفر الكتاني أمام القبر النبوي. وأخبر الأستاذ عبد المنعم بن عبد العزيز بن الصديق، أنّ السلطان عبد الحفيظ سعى إلى لقاء جده سيدي محمد بن الصديق مرات كثيرة. فأبى لقاءه، وما قبل توبته. وخبر ذلك مبسوط في «سبحة العقيق» لأحمد الغماري، وهو مخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط.

مؤلفاته:

ترك أبو الفيض الكتاني مؤلفات تزيد على ثلاثمائة كتاب، طبع منها حوالي 27 مؤلفًا؛ كما ترك شعرًا يغلب عليه الطابع الصوفي الفلسفي والعشقي، جمعه الدكتور إسماعيل المساوي في ديوان ضمنه حوالي 3400 بيتًا في أطروحة للدكتوراه نوقشت بجامعة مراكش سنة 2001م.

- اللمحات القدسية في متعلقات الروح بالكلية.
- المواقف الإلٰهية في التصورات المحمدية.
- الكمال المتلالي والاستدلالات العوالي.
- «الأمالي في عالم الأمهات».
- لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتانية.
- «أدل الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات».
- «هداية أهل الخصيصة بشرح حديث الخميصة».
- «أسرار الاستعاذة».
- «ختمة البخاري».
- نجوم المهتدين في دلائل الاجتماع للذكر على طريقة المشايخ المتأخرين برفع الأرجل من الأرض والاهتزاز شوقًا لرب العالمين.

- قصائد الكتاني.
- حياة الأنبياء.
- «بيني وبين الرافعي».
- «الجوهر الثمين في تراجم أمهات المؤمنين».
- تقييد في أصل مواسم الصالحين.
- «وفيات القرن الرابع عشر الهجري».

مراجع:

1 - أبو الفيض الكتاني، 2013 نسخة محفوظة.
2 - سيدي محمد المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، الطريقة الكتانية.
3 - علماء ناصحون: محمد بن عبد الكبير الكتاني 1/ 2. نسخة محفوظة على موقع واي باك مشين.
4 - الشيخ المؤسس أبو الفيض سيدي محمد بن الشيخ سيدي بن الكبير الكتاني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على قطب المنازل وآله وصحبه وسلم

الطلاسم في الكمالات المحمدية

الحمد لله المنفرد بالوحدة المطلقة عن سائر الوحدات، المتوحد في كنز غيبه ببطون الظهور وظهور البطون بنعت الأزليات.

والصلاة والسلام على مظهر حقيقة كنت كنزًا وعلى آله وأصحابه الحائزين من درر المعاني رمزًا.

أما بعد: فهذه طلاسم أبداها صب هاتيك المواسم، لما وردت عليه رقائق رياض تلك النواسم، مؤزرجة بلثام رموز الحواميم والطواسم، مرصعة برقائق الغزل الوهبي، لا معاني دقائق العلم الكسبي، أنشأها في شكل ديوان الإنشاء، ولم يبال بالكتمان والإفشاء، مفتتحًا بطلسم إلهي ثم بطلاسم القبضة الأحمدية على ما سيظهر

طلسم كنزي حقاني:

كانت النقطة الأصلية الأولية كنزًا في! غيهوبية العما بنعت الأزلية، محيطة باللاهوت للاهوت، مستوية بفردانية الرغبوت، على عرش دياجي سدف الرحموت. ظلمانية الهو في ظلمانية الذات، بالذات للذات في الذات. أحدية الجمع الكل الغيب المطمطم، بحر الأنية والهوية الزاخر المطلسم. هو بهو في هو هويته، المقتضي للسحق والمحق بجميع فردانية أنيته. الظاهر والباطن في عين الظهور والبطون، الساري في جمع جمعه بجمع الكنز المصون. أحدي الأضداد، المستبد بالانفراد. هوية حقانية، خمرة أزلية، جبروتية ظلمانية شعشعانية.

لا شكل ولا رسم، ولا نعت ولا اسم:

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم

سدف[1] دياجي التجريد، على عرش مستوى ذاتي بذاتي بنعت التفريد:

دنت فتدلت في مهامه[2] ذاتها لـذات لـهـا ذات إلـيـهـا تـدلـتـي

أنا الهو المجرد، أنا الله المفرد. أنا الوحدة المطلقة، أنا النقطة المجردة:

تفردت بالتفريد في ظلمة العما بغيب بطون الذات مني هويتي

أنا كنز غيب الهو في غيب هوه بظلمة ذات الذات ذات أنيتي

تفردت بي عني بمهمه مهمه فلا ثم صوت الرسم بل هو حقيقتي

أنا كل كل الكل طلسم طلسم بذاتي خلت ذاتي بكاسات خمرتي

لا رتق ولا فتق، بل رَبّية محضة مجردة ساذجة عن أوهام الخلق، لا تقتضي شيئًا زائدًا على السحق والمحق. ويمكن التعبير عنها بحسب الرسم بالخواص، هوية الأحدية الجمعية المصمتة[3] المحيطة اللطيفة المتصفة بالبطون في عين الظهور، وهو في عين البطون.

وأما الكنه فللعقول حدود لا تجاوزها، والعما عبارة عما كانت عليه قبل التنزل لحضرة الأحدية وهو كنه النقطة، وحقيقته عدم التقييد بل الإحاطة به فيه إليه له. وكما كان يعجز عن مثل هذا المعنى نطاق العبارة، أفصح عنه الفارضي حسبما سنح له بقوله:

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم

وتخميسه:

لقد كان في مجلى البطون وما حوى
بمرأى العما للذات بالكنز قد طوى
بنقطة غيب الغيب للغيب فاستوى
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا
ونور ولا نار وروح ولا جسم

---

(1) السَّدَف: الظلمة/ السُّدف: الليل وسواده.

(2) المهمه: المفازة البعيدة/ البلد المقفر.

(3) المصمت: الجامد لا جوف له/ مصمت: كامل، متمم.

والفرق بين الأحدية والهوية أن الأحدية ظاهر الهوية وهي باطنها، وهو يفيد أن الذات حسية وهو كذلك، إلا أنها لا تدرك لشدة ظهورها:

وما احتجبت إلا برفع حجابها ... ومن عجب أن الظهور تستر

ثم اقتضت الكنزية أن تتنزل لحضرات الواحدية، ليظهر فيها مقتضيات الأسماء والصفات ونعوت الشؤون والمقتضيات، فوقع التنزل للتعرف، وهي الحضرة الواحدية، وهي أول تنزلات الذات في الأسماء والصفات، لتنفعل المكونات وتظهر المؤثرات:

تجليت من سري لسر عوالمي ... لتحقيق أمر الملك فيه لحكمتي
تبدت مباني الفرق من لوح جمعها ... بظل خطوط الشكل من رسم نقطتي
رسوم بدت من خط لوح بطونها ... إليها معاني الذات تجلى بصورتي
مطلسمة تبدو على عهد كنزها ... بلون الإنا في الهو بل كل صبغتي

فوقع الظهور، وارتفعت الستور، بين ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ۝٣ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ۝٤ وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ ۝٥ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦﴾ [الطور: 1-6].

طلسم أحمدي كنزي:

كانت النقطة الثنوية في حضرة الأحدية العمائية، قبل التنزل في فضاء كبرياء العظمة ملتحفة برداء الهوية والأنية والعبدية، حيث لا أين ولا شكل ولا رسم، ولا حيث ولا مكان ولا اسم. بل جوهر نوره من نور باء ذاته، في نقطة صفاته. ونور صفاته في صفاء جوهرة ذاته.

فكانت محتجبة بين النورين بأنوار الأحدية، منزهة ومقدسة عن وهم أوهام الخلقية، مخيطة العين بخط أثقال العبدية والحدوثية. بل كاف كنزية دوائر محيط ظلمة باطن سر العما وغيب الأزليات، وهاء هوية الكلية المطلقة المجردة عن لثام الصفات والتعينات والتشكلات والكليات والجزئيات.

ويد قلم خط علم جمع الجمع المنبسط شعاعه من أم الكتاب وسرادق الوحدات، وعين باطن سر غيب هيولى كنه بحر الوحدة المصمتة اللاهوتية الجامعة لوحدات دقائق الكنز المصون وجوهر الغيوبات.

صاد مراتب دنو منازل تنزلات الفرق وإثبات الحكمة وظهور رقائق كنت كنزا ببطون غوامض قهر سلطنة كنزية الكنزيات، كهيعص فلا زالت طائرة بأجنحة ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: 39] في سرادق السرادقات، ومتذللة بين بحر الأحدية والهوية في مضامر خلق الله آدم الأكبر رحا حاء الأنية العمائية الممسوكة بنقطة الجبروت الممسوكة بها ظاهرًا في عالم التنزلات، الملقى عليه في تلك المهامه ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: 6] بلطيفة الاسم الجامع الحكيم مع هو وهو ثم بعد في عالم الملك صار ينزل بحسب وإرداته بواسطة مظهر نسخة جزئياته ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشُّعَرَاء: 193] في عالم الفرق ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: 24] من سرادقات لب لبك. وينشد على لسانه في عالم الشهادة قول الفارضي:

يا أخت سعد من حبيب جئتني بـرسـالـة أديـتـهـا بـتـلـطـف
فسمعت ما لم تسمعي ونظرت ما لـم تـنـظـري وعـرفـت مـا لـم تـعـرف

على أنه في الحقيقة ليس غيرك بل هو قرآن الجمال المطلق في لوح الهوية محفوظ ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]، لكن ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ۝١٩٩﴾ [الشُّعَرَاء: 198-199] بل ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]، فما ثم إلا نور ونور نور رقائق الهوية على نور مجلى هو الأحدية، نور الحقائق على نور الرقائق، نور الملبوس على نور اللابس، نور اللابس على نور الملبوس ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187]، نور العارف على نور المعروف، نور المعروف على نور العارف، نور الذات على نور الذات، نور الذات على نور الصفات، نور المعشوق على نور العاشق، نور الماء على نور الإناء، نور المكافحة والتداني على نور الفهواني، نور الجمال على نور الأدال، نور اللطافة على نور السلافة، نور المعاني على نور المثاني، نور الجمع على نور الفرق، نور البطون على نور الظهور، نور الرتق على نور الفتق، نور الظهور على نور البطون، نور الأحدية على نور عنصر مبدء شجرة الأكثرية في عالم البطون، نور الربية على نور العبدية، نور الكفاح على نور مدامة الأقداح، نور الفردية على نور الاثنينية، نور الخمار

على نور العقار، نور الكنز على نور العهد، ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: 35]. وكان غيبًا في هذا الطلسم كل مظاهر أشكاله. لكن الأقرب منه فيه فرد كل وقت وختم كل دائرة، مركز كرة العالم وبرزخه ومبنى الملك في وقت ديوانته. لكن الأقرب منه فيه مطلقا المقول فيه أنه باب العلم. ومن ذلك كان يخطب بعد البروز على المنابر فتتجلى فيه جزئية ذلك الزمان إلى الآن، ويتذكر عهد تلك الأوان، فكان يقول: أنا النقطة أنا الباء أنا الاسم أنا الهو. وجميع من سكر في ذلك الوقت تراه ينشأ ويقول:

شربنا على الكنز القديم سلافة لذات ذوات العين فيها هويتي
بمهمه ذاج القدس لاهوت ذاته بغيهب سر الغيب فيه حقيقتي

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: 1] أي زمن منه لم يكن شيئًا أي موجودًا، يعني بل كان في طلسم كنزية النقطة الأصلية، ففيها كان مذكورًا مطويًا في سرادقات سرها:

بطلسم كنز السر لقد سكرت روحي بمعنى جمالها من كل وجهتي

طلسم أحمدي عهدي اول:

اقتضى ما سطره قلم الأزل، ورقمه في لوح! صحيفة التقادير فيما علا منها ونزل، فيمن تظهر مقتضيات الأحدية، بسبب التنزلات الأزلية للواحدية. فأبرز من كاف كنزية سره، وغيب غيبه، خلقًا أوجده من لب لبه، لأن شمس أحمديته كانت متصلة بشمس أحديته اتصالًا ذاتيًا، فلا فرق بين الاسمين إلا بزيادة الميم في أحمد، وزيادتها للإشارة لعدد مراتب الوجود وهي أربعون، لأنها عددها. أنا من الله جعله موضوع البهاء والهيولى والمجردات، والأرواح المهيمة والبسائط والمركبات، مسمى بالهباء والهيولى والعقل الأول والروح الأعظم والنفس الكلية والموضوع والمحمول والمادة والعنصر واليعسوب والأصل والقلم الأعلى واللوح والكرسي والعرش والأول والثاني وبفلك العالم وبقطب المجرة وببرزخ الكرة وبالخمرة وبالكاس وبليلى وبسعدى وبمظهر الاسم الجامع وبالإنسان الكامل وبفلك العجائب وبالنقطة المجردة وبالباء وبالجامع وبالنقطة وبسر الباء وبالوحدة المطلقة وبالوجود المطلق وبعرش التجلي وبغموض بطن الأزل وبليس

في الإمكان أبدع مما كان وبأم الكتاب وبلوح البطون وبكرسي التفريد وبالكتاب وببرزخ البحرين وبلابس اللونين وبمطلع الشمسين وبخط القوسين وبمظهر العظمة وبآدم الأكبر وبعين العين وبالمطلسم وبمنتهى الحيرة وبالظاهر وبالباطن وبالأول وبالآخر وباليتيم وبالقرآن وبالمجرد وبالأحد أي في بشريته

أنا الأول الثاني أنا الظاهر الذي بطنت بسر الغيب من بين إخوتي
أنا نقطة الباء المجردة التي أنافت على الأفلاك يوم دجنتي

فهو هيولى المراتب الكونية وبرزخ الحقائق ومبنى الحضرات، وماء روح حياة العناصر والمولدات والمركبات، والجواهر والأعراض وسائر الأوليات. مبدأ شجرة الكثرة وسر بروج بسط الكون ولوح التشكلات، وفلك منازل عناصر المواد وبرزخ الجزئيات. الأول الثاني من رقم سطور الذات، وبحر غوامض قاموس القدسيات، نور نور الفضاء ووسع الجمال المطلق بسقوط النسب والاعتبارات:

هيولى هباء الغين من جوهر العما فمني تبدى الكل من بسط نقطتي
تقدمت قبل الكل إذ بي وجوده تأخر بعد الكل ناسوت صورتي

تقدم في الوجود وتأخر في الشهود، نحن الآخرون ظهورًا بصور الناسوت، الأولون بطونا بغيب سر اللاهوت. ومن نظر في أوليات العالم وجده له جهات وحيثيات وتأسيسات وتدبيرات ومبهمات ومغيبات وترتيبات.

طلسم احمدي عهدي ثاني:

هذا العهد هو المسموع فيه ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172]، فسرت فردية أحديته في شجرة كثرته، فأجابت بـ ﴿بَلَىٰ﴾، فكان هو المجيب حقيقة فيهم بعد ما أجاب في عهده الأول هو له. وأول من أجاب في تلك المهامه أرواح الأنبياء والرسل ثم الملائكة ثم الأولياء والعلماء منا ثم عامة الأمة ثم أرواح الأمم على الترتيب طوعًا، وذلك لتجليه عليهم بالأسماء الجمالية كاللطيف والسلام وغير ذلك. فاستطابوا مرعى تلك الرياض، واستنشقوا زهر نرجس الحياض، فصارت معشش أرواحهم فيه يأوون، وفيها يسكنون، وبصفا مروتها يسعون ويلبون. فصارت تسقيهم من راح العقيق والعقيان، بكؤوس الدر

والمرجان. وهناك وقع التفاوت في السقي على قدر القسمة في الري ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [النحل: 71].

فهذه تلبية أرباب المدام العرشية. أما الكفار فسقوا من فيض أسمائه تعالى الجلالية القهرية، فأنشأ من ذلك الفيض ظلّاما يناسب ما سبق به القلم، فلما دعوا سرى ما ذكر فيهم فأجابوا على قدره كرها. فأصل النورانية سقي أرباب العناصر العروشية، لذلك ظهر فيهم مقتضاها. وأصل تكوين الظلمانية أرباب التجلي القهري العدلي، فمن سقيهم نشأ حتى انتشأت منه النيران. وأول من استلذها إبليس اللعين رئيس هاتيك الحضرة. وهناك ظهر أرباب اليمين من الشمال وأرباب الجمال من الجلال وامتاز عباد الإله الحقيقي من المجازي بقرينة التجلي الأسمى وبقرينة السقي وبقرينة القرب من القبضة. وذلك لأن كل مولود يولد على الفطرة، كنى هنا بالولادة على البروز من بطنان الأزل فكأنه هو الأم للأرواح. وفطرة كل مناسبة لما جف به القلم، إذ ما سطر في لوح التقادير يظهر أثره في التعيين الظهوري.

فكان الكفار كفارًا من ذلك اليوم، والمؤمنون مؤمنون من ذلك الوقت. فكأن الكفار في الحقيقة قالوا: نعم لما قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ﴾ [الأعراف: 172]، وإنما قالوا بلى كرهًا بمقتضى قوله جلت عظمته: ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ [فُصّلت: 11]. وهناك ظهر سر: **هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي**. وبعد ذلك رجع الكل إلى الأصل الذي هو القبضة إلى وقت البروز، وكل فيها على قدر ما جف به قلم تعيينه. وأصحاب طائفتنا الكتانية اختارهم الحق تعالى من يمين القبضة، أعني حكمًا لا عينًا، وذلك لأنها نور مطلق صرف لا جهة له تفهم. ومن يوم برزت النقطة الثنوية وليس ترقيها إلا في أحدية الجمع الكل المطلق الأصل له، لأنه لا انفكاك له عنه. فطورًا ترفل في مظهر ثياب عظمتها، وآونة تلتحف برداء كبرياء لطفها ونقطة شكلتها، وطورًا تعرج في ميادين إسراءات الأرواح، ووقتا تتلذذ بمعين ماء مدام الأقداح، وزمنا تطير بأجنحة القدرة في رياض مجال الجبروت مخيطة العين بخط ﴿وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ﴾ [البقرة: 187] في غيبوبة الرغبوت، وصباحا قائمة الشكل في محراب جمع الجمع الجمعي، سامعة بجميع جزئياتها: ادن مني واقتربي واسمعي. فأنت كل الكل وكله، ومنك إليك

خلق وعنك الكل وأصله. وأنت النقطة والباء والرسم، والألف والهاء والنون والاسم. وأنت مبنى الفواتح ومعناها، ومكنون باطن الأم ومغناها. وأنت جامع ما بين الباء والسين، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]. المقروء عليه بحسب الأولية: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ﴾ [الشُّعَرَاء: 218] مرتسما في جوهرية عمائية هويته ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور: 48] مصليًا بمحراب جمع جمع ذاته في عالم البطون، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: 219] في عالم الفرق أي الثاني لأنه الذي يعقب جمع الجمع. وفي جميع تلك المدة كانت نائبة عن الحضرة، وكانت هي المتشكلة في كل ما ظهر وما بطن، وما عرف وما جهل، وفي نار الطور وفي تجلي السؤال. غير أن قلمها انعكس فكتب لي:

وسألت معسول الرضاب فقلت هل ... من رشفة تشفي الفؤاد بمائها
فأجابني والثغر منه باسم ... ما كل بارقة تجود بمائها

وفي نار الخليل وفي جميع ما ظهر كانت هي المتطورة فيه والقائمة فيه:

كذاك بشكل الجن في الأرض قبلكم ... فصرت لهم رسلًا لتحقيق حجتي
كذاك بأطوار الشياطين جئتهم ... ظهرت به حكمًا لحكمة حكمتي
وما هذه الأشكال مني غيرت ... صفاتي ولا أبدت سواي لدعوتي
تطورت في كل المظاهر وانتهت ... إليّ سرت في كثرتي أحديتي

وكانت الرؤية الصرفة الساذجة المجردة المطلقة عن قيد اللثام والصفات بعين البصر محجوبة وموقوفة إلى أن يظهر هيكل بشرية ذاته المشار لها بالأمانة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ أي الكامل صاحب فلك العجائب وقطب الغرائب. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ [الأحزاب: 72] لاشك أن النوع الإنساني مركب من جوهرين: جوهر لطيف وجوهر كثيف، ولا شك أن إلقاء هذه المكافحات لا مناسبة بينها وبين الجوهر الكثيف، فكان ظالما بهذا المعنى، لأن الظلم وضع الشيء في غير محله، جهولًا: لا شك أن غاية المعرفة هي الجهل بالمعروف، المعبر عنه بالحيرة النورانية، ولا مقام فوقها. فالجهل هاهنا كناية عن عدم درك الإدراك للكنه. وهذا سبب الدك الواقع للجبل، والصعق الواقع للكليم لأنه طلب

الصرافة. وكان قد سطر في لوح الإطلاق أن لا تظهر إلا بظهور الهيكل الجامع، بشاهد: ﴿فَخُذْ مَآ﴾ [الأعراف: 144] وفي ضمنها ودع ما لم آتك فكانت الرؤية ممنوعة إلى أن يظهر هو بها وهذا هو السر في غبطة الأنبياء الكون من هذه الأمة، لأنها أعطيت ما كان ممنوعًا لغيرها وراثة، ولو كانت الأنبياء في عالم الملك وقتئذ لكانوا أول من ورثها، ولكن كانوا في عالم البرزخ، أعني بعين البصر الناظر لا ببصر الخاطر وهذا عندي معنى قول أبي يزيد البسطامي: خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله، ومعنى قول سيدنا موسى عليه السلام: رب أرني أي أر يا رب ني أي حقيقة باطني التي هي الأحمدية قبل إدراجها في قالب الجسمانية، فإني إن رأيتها أنظر إليك، ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾، أي: لن ترى مظهر حقيقة الاسم الجامع التي هي مني وذلك لعدم اندراجها فيها، ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: 143]، أي: جبل سر القلب الذي هو محل التجلي، ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ [الأعراف: 143] حين التجلي بدون مظهرية عظمتي التي هي الأحمدية والمحمدية معًا، فسوف تراني .﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ بدون مظهرية فلك العجائب، ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ لعدم إطاقته ذلك إلا فيه، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾، أي لما وصل إلى حد صلصلة الجرس .﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف: 143] لطفا به ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ [المائدة: 116] تنزهت عن أن تشهد في غيره، ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من طلبها حتى يظهر هو بها ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143] بأنها خاصة به على سبيل الساذجية، وبأنها موقوفة إلى وقت الازدواج، وبأنك لا ترى إلا به وفيه.

وأما المشاهدة فكانت حاصلة له كغيره قطعًا.

وأما الرؤية فأول من أكرم بها في عالم البرزخ بعد ظهور الهيكل الإنساني هو ثم لمن شاء الله. وأما أفراد الأمة وضراغم الحضرة فأعطيت لهم وراثة في مظهريته، إذ الإجماع ممن يعتد به أنه لا يرى في غير مظهريته، وهنا زلت أقدام. وانظر حال الحلاج، باز الحضرة وتاج الديباج. حتى قال قطب المحققين وبرزخ المدققين شيخنا ومولانا الوالد سيدنا عبد الكبير الكتاني سقاني الله من فيضه المتداني إن جميع من ادعى شهودًا في غير مظهر ذاته فهو غالط أو كذاب هـ. ومعناه أن الذات لا تتجلى مجردة قط، إذ لا يقدر على ذلك أحد، بل تضمحل

الكائنات عند بروز شمس سلطان الحقيقة إلا من كانته، إلا الأحمدية المحمدية فلا دخل للعقل في مرماها فأحرى غير ذلك، وذلك لأن الذات لا تقتضي شيئًا زائدًا على السحق والمحق، إذ لها السلطنة المطلقة المجردة الجامعة لجميع الأضداد منها الجمال والجلال. على أن شهودها مجردة على تقديره لا يكون فيه نعيم ولا لذة ولا معرفة ولا شهود، وإنما فيه الفتك والمحق. وغاية ما يصل إليه مقام الآحاد، وهم الذين أحاطت بهم الأحدية إحاطة خاصة فطوتهم في حلل ذاتها فهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝﴾ [القمر: 55] ليس إلا مجرد الصورة والتسمية كحال المجاذيب وهم مراتب وفنون. فمنهم أهل الفناء وهم فنون، ومنهم أهل الاصطلام، ومنهم أهل السكر، ومنهم أهل الذهول، ومنهم أهل الوله، ومنهم أهل السحق، ومنهم أرباب المحق، ومنهم أرباب الآحاد ولا فوق فوقهم في مقامات الفناء لكن ليس في علو المقام، بل لا شهود ولا معرفة وإنما هكذا تفعل أحكام الحور وهو مقام صلصلة الجرس الذي تنحل فيه التراكيب، وتلبس فيه الجلابيب. وتنفصم عرى الهياكل، وتنحسم جزئيات الخلاخل. وأرباب الكمال والتمكين هم الذين يشهدونه في مظهره وهو المحمدية عند الكمل ولا أرفع منهم. وأنت ترى من وصل إلى هنا ينشد أو ينشئ:

يا قبلتي في صلاتي إذا وقفت أصلي

وهم في أمن مما تقدم، وذلك لأنهم يشهدون الذات في كاسات الصفات، ويشهدون الحسناء في النقاب والشمس في السحاب. وما فوقه نهى الله عنه بقوله ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: 152] وهو الرؤية الساذجة الصرفة المجردة عن اللثام، فضلًا من الملك العلام:

فكم من دماء دون مرماه طُلَّتي

وليس دونها مرمى ولا لأحد كشف المعمى

وقد رام أبو منصور الحلاج الصادق شهودها في غيره فصد وقيل له: حسب الواحد إفراد الواحد. وما ألطف قول الفارضي [سلطان العاشقين الشيخ عمر بن الفارض] حيث قال:

لها البدر كاس وهي شمس تديرها

حيث سماها شمسًا، بمعنى أنه لا يطاق على كفاحها مجردة عن ذلك إلا بمظهر كاسها الذي هو بدرها ومعشوقها التي تتجلى فيه. وكنى عنه بالبدر لأن من شأنه الصفاء والصقالة، فكأنه جعله مرآة لها، بمعنى أن من شاهد الحضرة المحمدية مشاهدة عيانية بصرية شاهد فيها الحضرة العلية، وذلك لأنها بمنزلة المرآة لها، فيها تظهر: «من رآني فقد رأى الحق»(*).

وأبدع في تغزله حيث قال:

فالعين تهوى صورة الحسن... التي روحي بها تصبو إلى معنى خفي

فافهم وصاحب هذا المشهد لا يضل في ليل حيرته، وبدره في يد عقله، ونجمه في سويداء قلبه، كما أفصح عن ذلك حيث قال:

ولو خضبت من كأسها كف لامس لما ضل في ليل وفي يده النجم

أي لو وشيت كف ساحة فضاء باطن اللامس أي الشاهد من الكأس لما ضل في ليل حيرته أي المذمومة وهي المعبر عنها بأوحال التوحيد، وفي يد عقله نجم مظهر خمريته ساطع ومنبسط، ليس في جهة التقييد بمنضبط:

لأنه عين العين والنقطة التي أديرت به من قوس وتر هويتي

رجع: لكن الأفراد وإن أعطوا ما أعطوا لا مطمع لأحد فيما له، بل كل على قدر نصيبه ووسعه ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: 32]، ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ [النحل: 71].

نكتة: إذا صار العارف الفرد الجامع محمديًا محضًا، بأن اجتلت الصورة في الصورة ووقع الاتحاد بحيث ذهب اسم الصب ورسمه في حلل ذاته: هل يصح له مقام الساذجية لأنه صار هو هو أو لا؟ لأنه إنما تجلت فيه وليس هو هو حقيقة.

الذي يعطيه الذوق السليم والطبع المستقيم أنه لا يصح له ذلك، وذلك لأنه ليس هو حقيقة في الواقع وإن كان هو بحسب التعددات المظهرية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 7] وفيكم رسوله حقيقة حتى أن المعاملة مع

(*) حديث شريف، رواه البخاري برقم (٦٥٩٥)، ومسلم برقم (٢٢٦٧).

المظاهر إنما هي معه إن كان كذا فكذا. فمن نظر لمعنى حال الظواهر، احتجب بها عن رقائق معنى السرائر. فاحتجب بالقشر عن اللب وبالحس عن المعنى، وبالأواني عن لطافة المعاني. ومن زج به إلى بسط المعنى، التي هي مستقر المغنى، وجد هناك «وإنما يسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

ومن زج به إلى السر حجب عن باطنه، ومنه إلى غيبه، ومنه إلى غيب سره، ومنه إلى سر غيبه، ومنه إلى غيب غيب سره، ومنه إلى اللطيفة الأصلية الخفية الجامعة.

لا تنظر للأواني وخض بحر المعاني لعلك تراني
ولطف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني بها تنم

اللهم عرفنا بنا وحققنا بنا بجاهنا عند ربنا.

طلسم فهواني محمدي:

لما رقم قلم مظهر أحمديتك، في لون بطون! علميتك ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: 30] وسطر أيضًا أنه لا يظهر إلا بعد التركيب، ومكافحة الأريب للأديب، وذلك ليظهر أصل العالم الكبير والكبير في العالم الصغير، وذلك لأن الإنسان هو العالم الكبير وهو العرش المحيط وهو الوحدة المطلقة، وجميع جزئيات العالم من عقل ونفس كلية وأرواح مهيمنة وأرواح صورية وقوى طبيعية والبسائط والمركبات من العرش إلى الفرش، كلها قوائم من قوائم هيكله، وغيب في مضامر عظمته ونتيجة سره، ليكونوا دالين به عليه، ومظاهر من مظاهر جزئياته لديه. فهو العالم الكبير وغيره نسخ منه وهو العالم الصغير بالنسبة إليه. ويقال له خليفة الله في الأرض، وهو منتخب من الخليفة الأصل ونسخة من الأول في الأرض والسماء. فركبت الأحمدية في المحمدية، وأدرجت الروح المجردة في هيكل العنصرية، فتم الخليفة بشكل الخليقة. ومن يوم خرج لم يبق بينهما حرج. فاصطحبت الخمر بالأواني، وبقي ما كان على ما كان. وتذكر هنا قول روح الله ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6] كيف أطلق عليه

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2256) [2/ 255].

اسم الأحمدية ولم يؤثر التعبير بالمحمدية، وما ذاك إلا لأنهما شيء واحد، يسمى كل باسم الآخر. فكأنه يقول: هي، وإن كانت باطنه ولكنها هي، تأمل. ومعلوم لدى الخاص والعام أن نهاية الأنبياء والرسل على تفاوتهم فيها هي بدايته. ومن كانت بدايته هي نهايتهم لا يقول عاقل بأنهم لم يقع لهم اصطحاب في أول أمرهم بالتبليغ. فإذًا نهايتهم هي الاصطحاب وبدايته من أول قدم له في هذا العالم هي الاصطحاب. وليس هذا تأييدًا لما قلته، وإلا لما بقي فرق بين المنقول والمعقول واللدني. وإنما جيء بما ذكر لأجل رجالًا ﴿ضِعَٰفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النِّسَاء: 9] لأنهم كذا، فجيء بكذا ليفهموا. ولم يبق بينهما ستر، مذ انمحقت نقطة الأسر. ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187] فوقع الاصطحاب، وامتزجت العقار بالحباب. وذلك بتزويج الخمار، بعدما أزاح برقع الخمار. فأنشد الكأس، محلى بالورد والآس. وخاطب السلسبيل، النديم الخليل:

زوجتها والزمان طفل... لا كرم فيه ولا فروس

فلما طرب الكأس، حال كونه بين الناس، انتصب العقار، وزمزم بالقرار، وأثبت للكأس، ما فاه به للناس. فأنشد:

ولطف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني بها تنم

أي وظاهر الأواني، تابع في الأمر للطافة الباطن المسمى بالمعاني. وليست المتابعة على ما هو المتعاهد، بل المراد ارتسام ما في الباطن في الظاهر من أول قدم، فكنى بذلك عن المتابعة، أي أنه تابع له قدما بقدم، حلة بحلة، درجة بدرجة، اطلاعا باطلاع، تجل بتجل، مسامرة بمسامرة وهكذا. والمراد بالأواني ظاهره الناسوتي، ولطافة المعاني باطنه اللاهوتي أي بشرية ظاهره لم تؤثر فيه، وإن كانت ظاهرة، وذلك لتبعيتها للطافة الباطن اللاهوتي المطلق، ولون الإناء لون الماء، فإذا ثبت أن باطنه الأحمدي مظهر اللاهوت الفردي لزم منه أن ظاهره كذلك، وذلك لتبعيته له، ولون الإناء تابع للون ما فيه، إلا أنه ستر الحسن منه بالحسن، وذلك لئلا تخرج عن حكم العالم الذي نحن فيه، وهو عالم ظهور الحكمة تفهم. وذلك لأنه تنزه عن أن تكون له كثافة بشرية، وذلك لأن الكثافة

إنما تنشأ من العناصر، وهو وإن كان بذلك ظاهر، لكن ذلك بحسب الظاهر بالنسبة لعالم الفرق، ولذلك لم يكن يرتسم له ظل، وذلك لأنه نور محض لا كثافة فيه، بل فيه مافيه:

ذاتها من ذات لابسها وهما في النشأة افترقا

بل إنما ستر الحس منه بالحسن، وذلك لأن الحسناء لا بد لها من نقاب كي يقدر على النفع بها. والمعاني بها تنمو، أي أن المعاني تزيد وتقوى بسبب لطافة ما صاحبها، لكن في غير ما نتكلم فيه وإلا فلا كثافة لأنها تكون كأنها في قفص محبوسة. وإنما كان يتظاهر بأحوال البشرية عبودية لربه، ولئلا يدعى فيه ما ادعي في إخوته، وليقدر على التلقي منه، ولأنه هو المناسب لعالم الحكمة، وليكون قائمًا بمقتضيات الحضرتين الحقية والخلقية.

نكتة: العبد من حيث هو هو حق وخلق، فالحقية أصلية معه لاستمرارها معه من الأزل، بخلاف الخلقية فإنما هي طارئة وعارضة فرقا بين الرب والمربوب وللحكم المتقدمة آنفا. ومرادي بالاصطحاب زوال الستر بينهما من أول قدم، على ما جرى في القدم، بحيث صارت الذات الإنسانية تطلع وتكافح جميع الأمور التي تطلع عليه الروح من غير فارق، لاتحادهما في الاطلاع على ما خلف البوارق.

مطلسمة تبدو على عهد كنزها بلون الإنا في الهو بل كل صبغتي

فإن قلت: وإذا كان كذلك ففيما يقع الترقي؟ قلت: أما أولًا فنقول في معالم المشاهد الروحية، على أننا بعد أن حكمنا بالاصطحاب لسنا نقول إن رسم البشرية اضمحل، وإنما نحكم بذلك حكمًا لا عينًا. على أن المراد جميع ما اطلعت عليه الروحانية تطلع عليه الجسمانية قدما بقدم حلة بحلة بدون تفاوت، هذا هو الحق عند الله. على أنه كان يتظاهر بمقتضيات البشرية سترًا عليه فكان يترقى في ذلك فافهم إن كنت ممن يؤمن وإلا فسلم تسلم.

قال الكأس فطاب الأنس والفرح والسرور، وأزيح الترح وغنت الطيور.

فصرنا نغدو ونروح، ونتسلى ونبوح. ونصطبح بالمنادمات، ونتروح بلذيذ المكافحات. اتحد الاسم والمسمى، وفك الفص المعمى. ولا تشابه ولا

تشاكل، مع التخلل والاتحاد والتماثل. ولسنا نعرب، بما قاله المغرب:

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر

بل الاتحاد، مع ظهور المراد، في كثرة الانفراد:

تبدت على كأس فكان للطفه بها هو إياها وإياه حلتي

وسألته ﷺ عن حقيقة الاصطحاب هل كانت أم لا؟ فقال لي ﷺ: اتحد الاسم والمسمى، وتخلل الطلسم المعمى. فقلت: هل من أول قدم؟ فقال لي على ما جرى في القدم. لكن آونة يغيب الناسوت في اللاهوت ويظهر اللاهوت في الناسوت. ووقتا يغيب اللاهوت في اللاهوت ويبقى الناسوت للناسوت. فحين ظهوره أكون مخيط العين بخط: لست كهيئتكم إني أبيت أظل. وحين غيبوبة اللاهوت في اللاهوت أكون مخيط العين بخط: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص: 85] أي لرادك للوح معاد هوية بطون غيب حقائق كليات ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾ [البقرة: 187] طمسًا وتجريدًا عن الإدراكات والإحاطات، وحين بقاء الناسوت للناسوت أكون مخيط العين بخط إنما أنا عبد ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: 110] أعني مع استقرار المعنى في المغنى، وقيموميتها بالفهوانية واستغراقها باللهوانية:

يشاهده وعندكم لساني فؤادي عند مشهودي مقيم

لا يشغلني هو عن هو حين أكون أنا بأنا بل لي القوة من الجهتين: شؤون الخدمة، ومقتضيات الحضرة. لأني شارب بكلتا الكأسين، ومصل بمحراب جمع العين.

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

هذا قسم عيني بقوة جهتي هيولى هيكلي بقوله: ﴿قٓۚ﴾ [ق: 1] فنحن كذا على المدام، إلى نهاية ما لا نهاية على الدوام. ولا مرمى دون مرماي، ولا كشف لأحد عن طلعة ظاهر باطن محياي ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85] أي من العلم المختص بربي ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: 59] ما عرفني حقيقة غير ربي.

نكتة: وهو يعرفها، من عرف نفسه عرف ربه. فأنا العارف وأنا المجهول،

وأنا المعروف وأنا الموصول، لا تدركني الأبصار.

نكتة: هل عرف هو نفسه بناءً على أن من عرف نفسه عرف ربه أو لا، بناءً على أنه داخل في عموم قوله: والله ما عرفني حقيقة غير ربي، وأما من عرف نفسه فيعني معرفة دون معرفة، ولا يلزم منه الجهل لأن من كانت له كمالات لا تتناهى معلوم أنه لا يحاط به، وهذا الذي يقتضيه لون الماء لون الإناء بجامع الوسع وعدم الإدراك الكلي في كل في حقه فيه، وأما في غيره فيه فلا قطعًا، وإليه يرشد التنزيل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: 103] أي لا تدرك أبصار عقول الحوادث حقيقة كُنْهي.

قال الكأس: فأنا العارف وأنا المجهول، وأنا المعروف وأنا الموصول. لا يدرك كنهي، ولا مطمع لأحد في ما لي وما لوجهي ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ﴾ [الأنعام: 152]. ما لي هو رؤية الأحدية الجمعية بعين البصر الناظر، لا ببصر الخاطر. بل في لحافي، وعند ظهور أوصافي، في كل حين ووقت، وكل طور ببصر الإطلاق البحت. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝﴾ [النجم: 13-14] أي عند سدرة شجرة منتهى الكثرة. وهو لا يتقيد بوقت دون وقت، فصح الدوام، لشرب المدام. ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ لي في معه في حال الكنزية وبعدها في حال التجريد وبعد الازدواج ﴿لَيْلًا﴾ أي في ليل الحيرة بنعت الشهود والرؤية ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي مسجد حرم عكوف ذاتي بذاتي في حال الكنز وحال التجريد وبعد الازدواج، بل في كل وقت ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: 1] وهو أزل الوجود القديم المطلق، بحيث أفنيناك عنك حتى رددنا باءنا لنقطتنا، وفرعنا لأصلنا. وكنى بالأقصا عن كونه كان قديما، وكنى به عن بعد مرامه ولثم لثامه:

فكم دماء دون مرماه طلتي

وكنى به أيضًا بعد البروز عن كونه خارج عالم الإمكان وعالم الأمر وعالم المعنى وسائر عوالم اللطافة، وليس ثم وساطة لنديم بل الحبيب بالحبيب للحبيب في الحبيب الله أكبر.

دنت فتدلت في مهامه ذاتها ... لذات لها ذات إليها تدلتي

﴿ٱلَّذِى بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ بحلولك فيه وبروزك منه ليقع المقصود ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ [الإسراء: 1] أي العبد ﴿مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [طه: 23] الكبرى وهي الزيادة على ما كان يعهده من المكافحة بنعت التجريد وهي ما له ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي العبد ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بنا منا ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] بنا فينا.

وأبصرها لحظي وذلك لحظها فكنت بها منها بصيرا بجملتي

نكتة: اتحد بصر باطن سر غيبه اللاهوتي، وبصر ظاهر عينه الناسوتي فرأى بباطنه الحقاني باطن الأنموذج من حيث اسمه الباطن، ورأى ببصر ظاهر عينه الناسوتي هو من حيث اسمه الظاهر، ورأى بهما معا الحقيقة الأصلية الجامعة المجردة، بنعت الصرافة الساذجية ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: 10] ولعلك لا تجدها في ديوان، أو مرقومة ببنان.

تجمعت الأضداد في فرد كثرتي وليس وراء مرماي مرمى لذي هوى

قال الكأس: ولما رقم في لوح القدم أنه لا يساير أحد الحق في أبديته في عالم حكمته، انتقلت لأصلي ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: 85] لوح هوية غيب حقائق كليات ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ﴾ [طه: 55].

نكتة: اعلم أن حكم الأبدية المعبر عنها بمعقول الآخرية العبدية هي بحسب الأصالة والاستبداد للأنموذج لا دخل للحدثان فيها استوجبها وجوب وجوده الذاتي الأصلي المعبر عنه بالقيام بالنفس لا يشاركه فيه غيره من الأثرات الكونية. لكن قد يستوجبونها بالنسبة لعالم الفيض الوسعي الإطلاقي بحسب الاستمداد ومقتضيات العلم الإحاطي بشاهد شعاع العلم الوسعي المنبسط شعاعه من أم الكتاب مع لزوم الحدوثية وصفًا وذاتًا وفعلًا، بل من جميع جواهره لقيام ضد الغنى بهم، لا يقال إنه وإن كان لا يتناهى فهو محكوم عليه بالانقطاع لأنه مسبوق بعدم وكل ما كان كذلك يرجع لما كان عليه لأنه يلزم عليه مسايرة الحق في بقائه وهو محال، فلا بد من انقطاع لآباد أهل الجنة وأهل النار، ولو دامت وطال الحكم ببقائها لأنا نقول إنما يلزم ذلك لو كانت بحسب الاستبداد والأصالة والغنى.

قال الكأس فجاء من بعدي مظاهر: منهم مجلى سري ومنهم مجلى روحي ومنهم مجلى قلبي ومنهم مجلى عقلي ومنهم مجلى نفسي انفرادًا، ومنهم مجلى

سائر عوالمي وهو الفرد الذي يدور عليه فلك كرة العالم ولا يتعدد بل مجلى ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1] وأول من حصل على مقام الخلافة الباطنية المعبر عنها بالسر الذاتي وبقطبية العالم وبمركز كرة الدوائر: مولاتنا فاطمة الزهراء رضوان الله عليها، وقد أرشد سيدنا لهذا حيث كان يمصها لسانه ويجلسها في مجلسه.

وأما الخلافة الظاهرية فأول من ورثها الصديق الأكبر. ومن مولاتنا فاطمة إليه انتقل السر الذاتي الباطني. وقد أومأ سيدنا بقوله: مروا أبا بكر فليصل بالناس إلى رتبته في الخلافة الظاهرية الملكية.

وأما الخلافة المعنون عنها بسر الذات وهو مضمون ما للموروث في الجملة هنا فما ظفر به إلا بعدها. وقد أرشدنا جلت عظمته بقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝﴾ [البلد: 3] لهذا المعنى ولم يقل وما صاحب. على أن الصحابة بأجمعهم كان لكل واحد منهم الحظ الأوفر منه، وسيدنا الصديق كان له مثل ما لهم وزيادة، لكن ما ذكر لم يكن إلا لمن ذكر. هذا هو الحق عند الله. وتفاوتهم في الأفضلية على حسب تدريج الإرث بينهم أو على حسب إطلاعهم على المرتبة الواقع فيها التفاوت فما وقعت الأفضلية إلا من هذا المعنى. وعليه ففتح كل على قدر قابلية الكمال منه، ولا شك أن التفاوت وقع بينهم في هذا المعنى. فيقال: الفرق بين المفتوح عليه وغيره أي هذا الفتح الكلي هو الاطلاع على مكامن تلك الحضرة الأحمدية الواقع فيها التشارك، فكل من وقع له زيادة على الآخر فيكون فتحه أعظم من الآخر وهكذا،كذا خطر بالبال. ومنهم مجلى صورتي ومنهم مجلى اثنين ومنهم مجلى ثلاثة، ومنهم أربعة، والكل مني نسخة.

ولكل زمن ختم يختم به ديوان فلكية دوائره. والختم الأكبر له الهيمنة على كل ختم، إما قبل وجوده فكان جوهره المطلق الفياض يفيض على جميع أجزاء الموجودات شعرت أم لا. وبعد ظهوره لازال يفيض عليهم شعر من شعر وذهل من ذهل. ووارث قلبه ﷺ موجود، بل لو منع منه أحد لما صح التجلي لأحد مطلقًا لأن محله الفؤاد ولولا قوته لانصدع من صدمات هاتيك المعاهد،

وإمدادات تلك المشاهد .«وإنما وسعني قلب عبدي المؤمن».

وكل زوايا الكون أضحت مقري مذ وسعت جمال الحق حقا بجملتي

ثم ختمت المملكة بمن هو عند الله كمثل آدم، ثم انقضى الملك ورجع الآخر أولًا، ختم بما بدأ ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16].

وصل: اعلم أن لطلعة الحق بالنسبة لهيكلها غيوب لا تعرف فأحرى تحصى لكن نقول بحسب التقريب أن له: غيوب الغيب الشهادي، وباطن الغيب، وغيب السر، وسر الغيب، وغيب الغيب، وباطن سر غيب الغيب:

فالأول: ظاهر جسمانيته وهو غيب لمن عرف وهو للخواص.

والثاني: مرتبة من مراتب أحمديته وهي لخواص خواص الخواص من هذه الأمة الأحمدية.

والثالث: مرتبة أيضا من مراتب باطنه وهذه لخواص خواص الخواص من الأفراد، وفيه يقع التنافس ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: 26].

والرابع: سر الغيب وهو خاص بالصحابة على تفاوتهم فيه، ولوارثه مزيد معرفة بهذه الحضرة بشاهد ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ [البلد: 3] كالصديق الأكبر له مزيد معرفة دونها فيه. وهو الشيء الذي عناه الخراز قدس الله سره بقوله: ما فاتكم أبو بكر بصلاة ولا بصيام وإنما فاتكم بشيء وقر في قلبه. وأما قول سيدنا أويس رضي الله عنه: والله ما رأيتموه إلا كالسيف في غمده، فهذه الحضرة بالنسبة لما قبلها سيف وهي لها غمد، والبعض من السيف الذي يبقى ظاهرًا هو هذه المرتبة المثبوتة.

والخامس: غيب الغيب وهو للأنبياء والرسل وأولي العزم حسب تفاوتهم فيه. ولا مدخل للصحابة فضلا عن غيرهم فيه مع معرفة الرسل بالرتب المتقدمة كالصحابة. وهنا أعجز الكل فلم يدركه نبي ولا رسول ولا ملك، ويعبر عن هذه الرتبة بظاهر الألوهية، وبالحجاب، وبسر اللاهوت، وبفيض معالم الرغبوت، وبرقائق معنى الجبروت، وبدقائق الملكوت ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75] وبمنتهى العلم وببرزخ البحرين وبحجاب العزة الأحمى لأن خلفه تخضع جميع العالمين، وتقف كبار الأنبياء والمرسلين، ولا يقدر أحد

أن يتعدى هذا الحجاب ولو كان من أكابر الأحباب.

والسادس: كنه حقيقته، وهي اللطيفة الأصلية المطلقة الوسعية الإحاطية، المعبر عنها بالأحمدية، وبباطن الحق، وباللاهوت، وبالبحر المضمضم، وبحقيقة الحقائق، وبطلعة الحق، وبالأحدية، وبالحقية، وبالوجود المطلق. وعلمها مختص به لا يشاركه فيها إلا الأنموذج بشاهد ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] وبشاهد ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85] أي من العلم المختص بربي، وبشاهد: «**والله ما عرفني حقيقة غير ربي**»، وبشاهد ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: 65]، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14].

لطيفة: اعلم على أنه على قدر الاستغراق والاستهلاك في سائر عوالمه، كل واحد بحسبه، يكون البقاء بالله وفي الله ولله، وعلى قدر معرفته تكون معرفة مشهوده، وعلى قدر الجهل به يكون عكسه، لأنه هو الباب الأعظم والبرزخ المطلسم الذي لا دخول إلا من بابه، ولا فيض إلا من عذب ورود ماء راح رضابه. فلا شهود إلا فيه، ولا تجل إلا منه، وجميع من ادعى غير هذا فهو في اشتباه الأبدان يقع في الزندقة ومنها إلى ما شاء الله. فإن الإنسان إذا صارت تهب عليه نفحات الحضرات، ويستنشق صبا هاتيك الفلوات، خصوصا إذا زج به في مهامه فناء الفناء أو صلصلة الجرس، ربما إذا لم تحصل له عناية محمدية، من ثم إلى الزندقة قطعًا.

ولذلك استعاذ منها العارف الأكبر بقوله: وزج بي في بحار الأحدية وانشلني من أوحال التوحيد، هذه هي أوحال التوحيد. ولما رام باز العارفين هذا المشهد قيل له: يا حلاج حسب الواحد إفراد الواحد، وذلك لإطاقته وقوته، بخلاف غيره. فلا بد للشمس من سحاب، والحسناء من نقاب. ومن يقدر على مكافحة قرص الشمس الحسي بدون حجاب أو به غالبا الذي هو جزء من بعض مظاهره، فأحرى فأحرى. وقد أشار لهذا حيث قال: من انتسب إلى غير أبيه فالجنة عليه حرام، لاشك أن الأب الأكبر هو لا غيره، وعدم الانتساب إليه بإنكار واسطيته وتفرده به هو بزعمه، وجزاء من صدر منه هذا الهذيان أن جنة

الدخول لمسجد جمع الشهود والعيان هو منها في حيز الحرمان، لا يستنشق شمالها ولا عرفها فأحرى وصالها. أشار إليه هيولى المراتب ومركز دوائر أفلاك الغياهب الأحادي المداني سيدنا عبد الكبير الكتاني. وجميع من أراد أن يشهده في غيره أي في مرتبة الأحدية فهو كمن أراد أن يرى وجهه في غير مرآة كغيرها، هذا لا يتأتى وشتان بين المرتبتين. فإن المحمدي يشهد الحق على قدر مظهره، والآخر يشهده على قدره هو.

بدايتنا فاقت نهاية غيرنا ... وليس الثريا للثرى بقرينتي

﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ [الإسراء: 72]. ومعنى كونه مظهرا للحق وأنه لا يرى إلا فيه أن شاهده لا مطمع له في حضرة الأحدية الصرفة، وإنما له شهوده في مراتب حضرة الواحدية التي فيها عالم الكثرة والتعدد. وذلك لأن العالم العلوي مظهر باطنه الأقدس، والعالم السفلي مظهر ظاهره الأنفس. وعليه فالحق لا يُرى إلا فيه أي في مظاهره ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عِمرَان: 101].كذا سمعته بخلوة المحادثة، ومهبط المشاهدات والمنادمة، من سدرة منتهى العلوم، وكرسي مملكة السر المختوم، مولانا الكبير الكتاني أفاض الله علي سجال فيضه الداني مباشرة. وعلى لسان صاحب المرتبة المحمدية يُنشأ:

سجدت لها عند التداني ملبيا ... بمحراب مجلى الجمع من بعد حيرتي

أصلي لمجلى الذات عين جمالها ... وأطرب بالتلحين في جمع قبلتي

وقد عرفوا الله بالعجز وما عرفوا سيدنا ﷺ به أيضا، وذلك لجهلهم بأن لون الإناء لون الماء، ولو عرفوا عين يقين هذا لأقروا به قطعا، لأن الحامل على العجز فيه هو الحامل على العجز في مظهره. ومعنى قول الصديق الأكبر: العجز عن الإدراك إدراك، أي إدراك لذلك العجز لا كما توهمه العبارة، تأمل. وكأني بمجموع سادات الوقت ومشيختهم لا خبرة ولا خبر لهم بأحواله الظاهرة فأحرى مرتبة من مراتب غيبه، وحضرة من حضرات سره ولبه ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ [الإسراء: 72]، ويخرجون من قوله: ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ

كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء: 70]. وصورة العارف ما أشار إليه العارف بقوله:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر	وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدّم إمامًا كنت أنت إمامه	وصل صلاة الفجر في أول العصر
فهذي صلاة العارفين بربهم	فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

لك أن تقول: توضأ بشهود الجمال المحمدي محراب الذات وعرش التجليات ومظهر الأسماء والصفات، الذي هو كالماء لتتوصل منه إلى الجمال المطلق الأحدي الوسعي الإحاطي المعبر عنه بالغيب، وذلك لأنه لم يظهر بكل كمالاته إلا فيه، ولم يطق أحد ظهور أحديته إلا هو المعبر عنها بالأمانة. بل هو كالمرآة لظهور الذات فلا تظهر إلا فيه بكل كلها، وصرافة سذاجتها. فإذا استغرق الإنسان في نقطة خال جماله، واستهلك بجميع عوالمه في حسن مجلى كماله بحيث صح له فيه مقام الاتحاد بأن يقول أنا، فذاك حقيقة الفناء. فإذا فني بها بقي بربها. فالفناء فيها هو البقاء بحقها. ولا يحصل هذا المشهد إلا لمن كان من أهل المحو في نقطة سره، وأهل المحق والاضمحلال في شكلة جره. وإلا لم يصح لك ما ذكر، تيمم بشهود المجالي الكونية والمظاهر الفرقية من غير اعتبار ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ﴾ [البقرة: 115]، ولا ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الحجرات: 7] مجردة، المعبر عنها بالصعيد، والجامع بينهما الظهور في كل، وبالصخر. وقدم على سبيل التوحيد الكشفي العياني، إذا أزيح الستر عن عياني، إمامًا وهو حقيقة هويتك، وذلك لأنه لما حصل ما ذكر أجلست على كرسي تفريد الخلافة والنيابة، ونصبت على بسط تجريد العينية والقرابة، وصرت أنت بعد أن ما كنت، وكان يوهمك على سبيل التوحيد البرهاني أنك أنت غيرًا، فلما زال البين من البين وصارت العين عين العين، صارت هي الإمام والمصلي والمأموم، وصل صلاة ظهور ذاتك من ذُاتك في أول عصر وجود شهود معرفتك بك في حسك ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: 205]، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ [النور: 39]، فمن حصل على ما ذكر فهو عارف، ومن لم يحصل عليه فهذه صلاة العارفين بربهم دائمة مسرمدة. فمن لم يكن منهم فلا خبر ولا

خبر، ومن كان منهم فلينضح بر الفرق ببحر الجمع، وبر الحس ببحر المعنى، وبر العبدية ببحر الحقية، وبر الحكمة ببحر القدرة، وبر الأسماء والصفات ببحر قاموس الذات، وبر المزج ببحر الصرافة، وبر الطريقة ببحر الحقيقة. أو تقول: فإن كنت منهم فقد انقلبت لك حقائق الأشياء بإكسيرك فانضح من البحر حقيقة بالبحر حقيقة.

ولك أن تقول: توضأ بماء شهود مرتبة من مراتب غيب باطنه ﷺ: الغيب الشهادي، باطن الغيب، غيب السر، سر الغيب، سر السر، باطن سر سر السر، غيب الغيب، باطن سر غيب الغيب، وما وراءها من المراتب المعلومة لدى أرباب الآحاد المختصة بهم. وإلا يصح لك ما علم، تيمم بشهود ظاهر ظل بشريته، وطلعة حسن مجالي صور جسمانيته، والاجتماع بطلعة محيا هيكله، وعدم رفع الهمة لما ذكر المعبر عن صاحب هذا المعنى بالصعيد أو الصخر. فالباء سببية، أي تيمم بسبب كونك صعيدًا أو صخرًا، وذلك لأن الطيور على أمثالها تقع، وكل جنس إلى جنسه إلف وإلى شكله أعرف، فسمي باسم ما شابهه، والله أعلم.

وقدم إمامًا ..الخ: يقال فيه ما قيل قبله:

فهذي صلاة العارفين بربهم . . . فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

أي انضح بر التفصيل بالإجمال وبر التفريد بالتجريد وبر الحس بمعناه وبر الناسوت باللاهوت وبر الرقيم بالأنموذج وبر الكثرة بالوحدة وبر الجمع بجمع جمعه.

ولك أن تقول: توضأ بماء شهود الاستغراق في عالم من عوالم هيكله ﷺ والاضمحلال في هوية كل منها والمحو في سر جمال كل منها السر، وهذا مشهده، مشهد جمعية دائما. وذلك لأن السر كالمرآة للحقيقة الأصلية، فإذا استهلك في سره، ووصل لمقام اجتلاء الصورة في الصورة، كان مخيط العين بخط: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187]. بل ربما يقول هو رسول الله أو ما يتبعها، ولا لوم عليه إذا كان مشهوده ما ذكر معتكفًا بمحرابه، مرتشفًا من ثغر رضابه. وهذا دائما مؤتزر بإزار الأحدية، مترد برداء الصمدية، متمنطقٌ بمنطقة الفردية، متنعل بنعل الواحدية، معمم بعمامة الرغبوت، ملتحف بشملة الرهبوت،

لا يشغله ناسوت عن لاهوت ولاهوت عن ناسوت. يقول : لست كهيأتكم، ويقول: عيني تنامان ولا ينام قلبي.

والروح ومشهده العكوف في فضاء منار الأزل، والطيران في أفق ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85] لايحجبه قفص الجسمانية، ولا شبكة الملكوتية، العالم كله له نديم، يلثم من أواني معانيه قهوة شراب التسنيم. وذلك لأن جزئيات كرة الفلك قيامها إنما هو بسريان الروح الكلية المطلقة في عناصر موادها ومجالي مسارحها، لولا وساطة ما ذكر لما قام ما ذكر، تارة يكون مشهده متصلا بالذات، وآونة ينتقل لجزئيات الماديات، وحين يكون في الأولى يقوى شهوده في مهامه الحضرات، وفي الثانية يضعف عن تلك الإدراكات. لأن الأولى أحمدية ومحمدية ومحمدية، وأحمدية، وفي الثانية العناصر والمواد والتراكيب وعدم الانفراد. والقلب ومشهده الإقدار على تلقي الصدمات، والقوة على عدم انفصام التركيبات، مخيط العين بخط ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝﴾ [ق: 1] وملتحف بـ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝﴾ [القلم: 4] بل ربما إذا تمكن منه الاستغراق وأحاط به كل الأحداق اكتسب منه قوة وسعية وإقدارات محمدية. والعقل ومشهده الإطلاق والوسع وعدم التقييد وإقامة اللب مقام القرآن المجيد. والنفس ومشهده مشهد الروح، وذلك لأن النفس والروح اصطحبا فيه من أول قدم، فالنفس تسمى بالروح وهي كذلك، فمشهده مشهد ما ذكر.

فمن حصل على البعض أو الكل فهو الفردي الأحادي المعجم السري المعبر عن كل ما ذكر بالماء الذي هو وسيلة لشهود الذات المعبر عنها بالغيب. وإلا يحصل ما ذكر تيمم على نفسك الشبيهة بالصعيد أو الصخر، والمراد أنه همج في حكم. وقل ما تقدم في: وقدم إماما ..البيت.

فهذه والله صلاة العارفين الواصلين المحمديين. فمن كان منهم فلينضح بر الخلقية ببحر الأحمدية، وبر المحمدية ببحر الأحمدية، وبر الحس ببحر المعنى، وبر المريدية ببحر المرادية، وبر السيرية ببحر الطيرية. فصل اللهم على من استغرقت في نقطة سره الأحاديون وفي حال جمال روحه الأزليون، وفي قلب عرش سره الفرديون، وفي عقل إطلاق وسعه الإلهيون، وفي نفس تعينات

موضوعه الخلقيون.

ولنختم هذه المعاني بياقوتة: اللهم صل على سيدنا ومولانا أحمد الذي جعلت اسمه متحدًا باسمك ونعتك، وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذج حقيقة خلق الله سيدنا آدم على صورته، وفجرت عنصر موضوع مادة محموله من أنية أنا الله، بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده وآله وصحبه وسلم.

واعلم أن هذه الصلاة رآها سيدي إبراهيم الدسوقي في لوح التعينات في القرن السابع فأراد أن يبرزها لأصحابه فقيل له: إنها ليست لك إنها لمحمد بن عبد الكبير الكتاني، يظهر في القرن الرابع عشر. والواحدة منها تعدل ثمانمائة من دلائل الخيرات. هكذا أخبرني ﷺ. وهاهنا قال نبي الله دانيال عليه السلام: طوبى لمن أدرك المائة الرابعة بعد الألف، وليس المراد بذلك إلا إظهار شفوف طريقتنا، ومن جملة ذلك تضعيف الأعمال، هذه ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفَتْح: 10].

وصل: اعلم أن مشاهداته ﷺ لا تخلو إما أن تكون في الذات البحت بقطع النظر عن الأسماء والصفات، وإما أن تكون فيها مع ملاحظتها، وهي إما أن تكون مع الجمال الصرف فقط، وإما أن تكون مع القهر والسلطنة والكبرياء والعظمة، وإما هما. وكل إما عند التبليغ أو لا.

فالأولى: حال باطنه دائمًا قطعًا في كل وقت وحين على الصواب عندي.

والثانية: حال باطنه وظاهره دائمًا أيضًا.

والثالثة: حال باطنه وظاهره أيضًا دائمًا، بل غالب تجلياته الخاصة به إنما هي النمط الثالث ظاهرًا.

والرابعة: حالة باطنه لأنه مجلى الأضداد بخلاف ظاهره في الغالب، والجمال والجلال وإن كان كل منهما لازم للآخر لكن في التجلي قد ينفردان. وكان ﷺ في بعض الأوقات يتمحض له شهود الجلال المطلق بحيث يطوى الجمال في حلل الجلال، ولا يبقى إلا بحيثية صرافة الجلال المطلق، هناك يعتريه زيادة خوف صلى الله عليه به، فيبقى مترقبًا لما يبرز من كهوف الحضرة. ذلك الترقب هو السر في كونه كان دائمًا متواصل الأحزان، لأن الحضرة حضرة

وسع وإطلاق وهو لم يحط بجميع مكنونات حضراتها أي الذات الأقدس، فكان دائما يترقب ما تبرزه حضرة جمع الجمع المعبر عنها بالأحدية الصرفة. وفي هذه الحضرة كان يقول: «لا تخيروني بين الأنبياء» كما في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري ومسلم، وعن ابن عباس عندهما أيضا: «ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى». هذا هو الذي يحمل عليه ما ذكر والله أعلم بمراد هيولاء صلى الله عليه به. والخامسة كذلك عند التبليغ وغيره. واعلم أنه في جميعها لا يحصل له فتور ولا تأثر وذلك لحماية القوة الجامعة، وإلا لما كان فرق بينه وبين غيره، وعلى وجودها فما حجبته عن طوارق التجليات وذلك لأنها من جملة خصيصاته التي خص بها من بين إخوته، وهي الظهور بسر الغيب، هذا الذي يعطيه الفيض المصطفوي والمدد المولوي.

وأما قول من قال إنه في الرابعة عندي وهي الثانية عنده تغيب الذات العلية عن باطنه، فهو سهو، ولا يقدر أحد من الصبيان على سماعه فأحرى على قبوله فأحرى على تسطيره، وقوله أنه في السادسة عندي والثالثة عنده يكون غائبًا عن نفسه وعن غيره فكذلك. ورحم الله من خرج عن أسر التقليد، وكان مقامه ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [قٓ: 22].

واعلم أن مشاهداته ومكافحاته ﷺ دائمة، من يوم برز لم يحجب عنه طرفة عين، أما باطنًا: فقطعًا، ولا ينازع فيه إلا من ضعف سقيه من فيه، وذلك لما ورد: «إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»[1]، وورد أيضا: «إني أظل عند ربي»، فاستفيد مما ذكر أنه دائم العكوف في جمع كعبة الحسن، بحيث لا يخرج عن حضرات الإحسان دائمًا، بل عن ما وراءها، لأن ثمة حضرة أخرى وراءها لم يعرفها ولم يدخلها غيره ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 8] وهي المعنية بقولي:

وثم وراء الحسن معنى شهدته — بمهمه غيب القدس في طي حلتي
هناك انمحى عن فرقي نقطة غينه — وصرت وراء الجمع من جمع شكلتي

---

(1) رواه بنحوه ابن حبان في الصحيح، فصل في صوم الوصال، حديث رقم (3574) [8/ 341]، ورواه بنحوه الترمذي في السنن، باب ما جاء في كراهية الوصال للصائم، حديث رقم (778) [3/ 148]، ورواه غيرهما.

فليس وراء مرماي مرمى لذي هوى تجمعت الأضداد في فرد كثرتي

وإليه الإشارة بقوله جلت عظمته ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝﴾ [البُرُوج: 21-22] وإليه الإشارة أيضا بقوله ﴿قٓ﴾ أي أقسم بمعنى قلب سر حسني وباطنه ومظهر قوتي بحيث لا يتلاشى مما يتلألأ له من لوامع نفحات القدس في بساط الأنس.

وتأمل ما السر في تجويف باطن ﴿قٓ﴾ وتأمل ما أعجم به ق أولا ثم قلبه، وتأمل ما كنه تصحيفه ولكن كان ظاهرًا مقيمًا بمدينة الفرق وذلك لكمال عبودته، وأما ظاهرًا ففي غير أوقات التبليغ تكون الحكمة تابعة للقدرة والحس للمعنى، إذ يسري ما في الباطن للظاهر. وأما في حالة التبليغ فالباطن لازال على ما كان قطعًا كما يعطيه الكشف.

وأما الظاهر فلم يقع له حجاب قطعًا، ولو في ساعة التبليغ بعين البصر الناظر لا بعين الخاطر. بل لازال كذلك، ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة منتهى، شجرة الكثرة، وعندها ما زاغ البصر عن مشاهدة الجمال، أي بصر الحس في وقت التبليغ، وما طغى بحيث غيبته عن غيرها.

عن النديم ولا يلهو عن الكأس يسقي ويشرب لا تلهيه شربته

معتدل الطرفين ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ وإليه الإشارة بقوله ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝﴾ أي وجدك متحيرا مما يتلى عليك منك من آيات الجمع من لوح أم كتاب جمع الجمع في عالم الملك، ﴿فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: 7] بأن أعارك قوة إطلاقية غير مشوبة بتقييد، وجعل لون الشاهد لون المشهود بشاهد ﴿قٓ﴾ بحيث لا يتأثر لما يرد لحماية القوة الوسعية في جميع الحضرات القائمة به.

واعلم أن طلعة الحق لما خرج من بطنان الأزل لعالم الحكمة في أول الأمر حصلت له وحشة بالنسبة لما كان يعهده من التجريد والتفريد مع ما أثقل ظهره من رق الحدثان والحدوثية، ومفارقة الربية مجردة إلى الربية والمربوبية معًا، ولما حصل ما ذكر، أزيل عنه ذلك الدهش والحيرة بإلقاء خطاب ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾ بطلوع شمس الأحدية، وجعله عرشًا لتجلي الذات الفردية. ومحلًا لإلقاءات صمدانية، ومكافحات فردانية.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ بتفردنا بمعرفة كنه إحاطة مراتب مكنوناته، وجعلنا له غيبا من غيوب غموض سر سرنا بل من نقطة هوية هوياته. أو تقول ألم نشرح لك صدرك بأن جعلناه على لون ماء مشهوده، وإحاطة وسع علم فيض أم الكتاب ومعشوق شهوده، بل عينًا من عيون الأنموذج الساري في كل الكل وجزئه بحيث ما تراه من الصور والمجردات إنما فيض تلون سيلان فردية حقيقتك، ونسخ من مشاهد مراتب أنيتك. لكن قد يحصل للإنسان الدهش من ذاته، لما يراها متعددة في فردانيته.

أو تقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ باصطحاب الكأس والمدام، في أول قدم. بحيث صارت الأنية، تطلع على معالم ما تكنه حضرات الروحية. وذلك للاصطحاب، الحاصل من ممازجة الحباب، خلافا لبعض الألباب.

أو تقول: ألم نشرح لك صدرك بجعله مرآة أرى في مرائي نقابه، وأتجلى في لثام محيا حسن سحابه. بحيث لا أرى حقيقة إلا في محراب مصلاه، ولا يستنشقني نديم إلا في مطالع محياه. فأنت الكأس وأنا الخمر، وأنت المرآة وأنا البدر، وأنت عرش التجلي وفيك الترقي والتدني، وأنت الهلال وأنا النجم، وأنت المجهول وأنا العلم، ولا مرمى دون مرماك، ولا اطلاع على بعض جزء باطن محياك، فأنت المعروف والمجهول والموصول والوصول. أو تقول: ألم نشرح لك صدرك بعكوفه في حضرات الجمع ورفع الستور، دائمًا على ممر الليالي والدهور، لا يشغلك مربوب عن رب، ولا قشر عن لب، قائم على الشرب والاصطباح، والمنادمات والكفاح، في قرب القرب وغيبه، بل مطوي في غموض الفيض الأقدس وجيبه، أمع هذا تبقى لك وحشة، أو تتلى عليك دهشة. وكأني بك قائل:

لا أكتفي بوصاله لو دان دهر الدهر زائر

أو تقول: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾ [الشرح: 1] برؤية جمال حسني، وإزاحة البين من بيني وبيني. أو تقول ألم نشرح لك صدرك بجعلك برزخًا بيني وبيني، ومركزًا لإحاطة أفلاك مراتب عيني. أو تقول ألم نشرح لك صدرك بإسماعك كل وقت وحين بمحمديتك ادن مني يا حبيبي، واسمع مني يا أديبي، بحيث ما نقلتك لعالم الشهادة إلا لتتقلب في حضرات الجمع والفرق ورغبوت

البسط ورهبوت القبض وجميع الحضرات بجسمانيتك، مع إرادة تعرفنا بك في كرة إنسانيتك.

أو تقول: ألم نشرح لك صدرك بجعلك عروس المملكة وإنسان عين الوجود، وإمام الحضرة ومنتهى سدرة الشهود، هيولى الهباء والأرواح المهيمة، وعنصر المجردات ويعسوب المراتب المسومة، موضوع كرة العالم، ومحمول أساس مباني النظام، أس المراتب ومعناها، ومبنى الحضرات ومغناها، بل لولاك ما عرفت ولا عبدت، ولبقيت مجهولًا كما عرفت، فأنت التعريف والمعرف، والفص المجهول المحرف، فما بقي للدهشة أثر، ولا للوحشة مقر. وكأني بك لما استشعرت لثامك بالعبدية، ولحافك بإزار العنصرية، وحصل الانغماض في معنى الربية، استوحشت مما ذكر لكونك مخيط العين بخط الإنسية. ومالك، ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ [الشَّرح: 2] وهو رق الحدوثية وأثقال المربوبية، وهي مرتبة من مراتب الحدثية، أزيلت في صورة شق الصدر وإخراج العلقة منه، بل حكمًا وعينًا تفهم واعلم وسلم تسلم إن كنت ممن يفهم. ﴿الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾ [الشرح: 3] أي ظهر جسمانيتك عن الطيران في فضاء الجبروت، ومشاهد الرغبوت واللاهوت .﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ [الشرح: 4] بأن لم يعرفك غيرنا، ولم يكشف ذلك الفص غيرنا.﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: 85]. وكيف تدوم عليك الوحشة وأنت فرقان قولنا: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ إن مع عسر رهبوت قبض الوحشة، يسر رغبوت البسط والأنس.﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح: 6] إن مع عسر مشاهدة الإله والمألوه والرب والمربوب والخالق والمخلوق، ويسر مشاهدة الحق بالحق للحق في الحق سرا وروحًا وقلبًا وعقلًا ونفسًا وهيكلًا بل جميع جواهر العناصر وعناصر الجواهر. وهو المشار إليه بقوله: «لي وقت لا يسعني فيه غير ربي»[1]، وهذا الوقت في غير أوقات التبليغ تكون المادة منه إليه به فيه. وأما وقت التبليغ فيكون كذلك للقوة الوسعية: إله ومألوه ورب ومربوب وحكمة وقدرة وظهور وبطون وقيد وإطلاق. لكن في غير أوقات التبليغ تحصل

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

زيادة لم تكن، للترقي وعدم الحصر ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى: 4]. وغالب حاله الباطني كان ملتحفًا بإزار البسط والأنس والدلال، مؤتزرًا بلحاف الجمال والوصال. حتى كان ينشد من قبلها:

تذلل بأنس البسط في حضرة المنى ... على عزة تبدو بكهف هويتي

ودونك حسني فاشهدنه مجردا ... على نعت فرق الجمع من قاف قوتي

وغالب حاله الظاهر كذلك، إلا أنه ربما كان يقوى عليه شهود الجلال في بعض الأوقات ليكون آخذًا للحظ الأوفر من جميع أثرات حضرات الأسماء. وفي هذا المشهد كان يدعو على من طغى وتجبر ظهورًا لأثر ذلك الاسم المتجلي عليه به في تلك الهنيهات. ولورثته أيضا نصيب من هذا المشهد، لكنه لم يكن يدوم عليه. ومن كان حاله وديدنه هذا، يحكم عليه بالقهقرى عن مقام الإرث الأكبر، وإن كان مجلى اسم من الأسماء تفهم. وهو وإن كان مظهر من جمعت فيه الأضداد، ولون الماء لون إنائه، لكن في غير هذا بظاهره وباطنه. وأما في هذا المقام فإنما كان مظهر الأسماء الجمالية دائمًا طول عمره، بشاهد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] وبنص ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: 4] وبرمز ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128] تأمل جدا. ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾﴾ [الشرح: 7] ظاهرا من شهود الجمع وجمعه والعكوف ببسط الجمال، فانصب لمشاهدة الفرق في قاب ناسوت الوصال، أو فإذا فرغت من الفرق فانصب للجمع، أو فإذا فرغت من الجمع فانصب لجمع جمعه، وإلى شهود ربك في مظاهر مكونات مراتبه في غير أوقات التبليغ فارغب.

نكتة: اعلم أن ما تقدم من قوته الوسعية الإطلاقية قد يقال تخلفت في قضية الوادي حين ناموا حتى طلعت الشمس فما أيقظهم ظاهرًا إلا حرها. وقد يقال: معلوم أن من صفات الحضرة الغيرة بشاهد: «**إن سعدًا لغيور وأنا أغير منه والله أغير مني**»[1]. ومعلوم أن الحبيب يود أن حبيبه لا يراه غيره. ولما كان ﷺ مع

---

(1) رواه أبو عوانة في المسند، باب الخبر الناهي عن قتل الرجل الزاني، حديث رقم (4718) [3/ 214]، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم (2796) [3/ 160]، ورواه غيرهما.

حبيبه يوم لا يوم، كان الحق منفردًا به لم يشاركه أحد في معرفته، بل ولا ظاهر صورته. ولما آن وقت البروز لعالم الملك لأجل التعرف، وتعرف للناس وخالطوه ورأوه غارت الحضرة وغار الحبيب على حبيبه:

بل أغار عليها أن أراها لغيرتي   أغار عليها أن يراها سواي

استهلكه باطنا فيه من غير غيبة في تلك اللحظات زيادة على ما كان يعهده لإرادة ما سطر في لوح المحو أن لا تسمح به في تلك اللحظة لغيرها ورؤيتها ومنادمتها ومكافحتها، فاستغرقته فيها في قضية الوادي من تمام الغيرة لإرادتها ما ذكر. لكن رقم في لوح الإحاطة أنه لا بد من تدبير في أمر المملكة، وليس إلا هو في ذلك الوقت، فرد عليهم ما ذكر، ومنه انسحب هذا البسط والأنس على الصحابة بشاهد: «أخذ بقلبي الذي أخذ بقلبكم». هكذا أخبر الروح الأقدس. ولست أقول كما يقول غيري، لا أخبر إلا بما أخبر به روح الإلهام والله أعلم. ثم ما تقدم من أنه لما برز لهذا العالم حصلت له حيرة ودهشة بالنسبة لما كان يعهده في أول الأمر مع الاصطحاب من التجريد والتفريد وهو الآن عليه أيضًا، لكن المراد تكثير الخطاب معه عكس قضية سيدنا موسى، فلما أراد إزالة وحشته في قالب الخطاب خاطبه بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: 1] أي بعد أن وجدك متحيرًا دهشانًا متوحشًا بالنسبة لما كنت تعهده من التجريد الكلي، وهو واقع أيضا، فالذي حصل له بسبب حلوله في آنية هذا العالم العبدي العنصري، فتح لك فتحًا مبينًا أي ظاهرًا في عالم الملك والشهادة ثانيًا أكثر مما كان يحصل لك قبل في سرائر سائر عوالم جثمانيتك واصطحاب عوالم حقيقتك بظواهر آنية عنصريتك بأن فتح لك وهداك إليه بطلوع شمس الأحدية زيادة على ما كنت تعهده. قال جل ذكره: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ أي وجدك متحيرًا مما يتلى عليك من قرءان الجمع وباطن قرءان جمع الجمع في غيب قطع فرقان الفرق في حلل شمس عينك وهوية غينك تجريدًا وتفريدًا عن التعلقات، وذلك لأنك ملتحف بأردية الإنسانية العنصرية وهي لا تقتضي إلا العبدية المحضة. فلما تجلى عليك ما ذكر، مع كونك متمنطقًا بما ذكر، هناك تلي عليك: ﴿فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: 7].

لقد طاح ظل الغين في شمس عينها   فشاهدت عين العين في طي بردتي

فهدى أي فهداك إليه بأن أعارك لون الماء من القوة الوسعية الإطلاقية الإحاطية، وفتح لك فتحا مبينا فأزال عنك تلك الدهشة والحيرة التي تتوارد عليك مع كونك عبدا ملثما بلثام العنصرية، ومؤتزرًا بإزار الرقية، فكنى عن إزاحة ما ذكر مع كونه رقًا خالصا ليس فيه شائبة شيء في هذا المقام بالفتح، وذلك ليغفر لك الله أي ليستر عنك ما كان يهولك مما ذكر بنفسه وهويته، ما تقدم من ذنبك: كنى عن الذنب هاهنا بالتجريد الكلي الإطلاقي الذي كان معمورًا فيه قبل القبل، وذلك لأنه عبد والعبد لا يليق به ما ذكر، فلما كانت الرتبة الصمدية حكمت له بذلك سمى ذلك ذنبًا. والمعنى: ليستر عنك ما تقدم من التجريد الكلي، لأنه وإن كان له أيضًا هذا التجريد الكلي الآن لكنه مستور بالهياكل والطبائع، وما تأخر كذلك لما كان ﷺ يحصل له: «إني لست كهيأتكم»[1]. وليس هناك إلا شموس الأحدية وشموس الأحمدية، هذا ذنب أيضا، وذلك لأن مقتضى الوصف الإنساني عدم الخروج عن الطور البشري سترًا عليه، وذلك لأنه لو لم يذكر الذنب أو ما شابهه ربما تطرق للأوهام الفاسدة شيء، فغطى ذلك بنسبة الذنب إليه مع كونه معصومًا منه. وكلما ازداد القرب ازدادت العناية بصاحبه.

أو تقول صدور الدهش منه مع كونه على لون المشهود ذنب منه بالنسبة إليه، والمراد ما تقدم أوان الظهور لهذه المراتب الكونية وما تأخر أيضًا كذلك لأنه لم يفارقه ما ذكر مع ثبوت هذه الخطابيات، والكل مأمور به، وهذا من زيادة كثرة الخطابيات معه وما تأخر. أو تقول: كلما يفرغ مما يكون فيه من غيبوبة اللاهوت في اللاهوت، أو الناسوت في اللاهوت تراه يستغفر الله من ذلك ويستحيي منه حيث إنه فعل به ما ذكر مع كونه رقا كما تقدم. والمراد: أنا أزحنا براقع الدهش والحيرة عنك وفتحنا لك هذا الفتح وهو مكافحة شمس الأحدية بشمس الأحمدية والمحمدية لأجل أن يحصل منك حياء من الحق كيف غمرك مع أنك رق خالص، فإذا حصل ما ذكر استغفرت الله. ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾ [الفتح: 1-2] أي ليستر عنك ما ذكر أي حقيقتك بحقيقته، فهناك عند الظهور فتستغفر.

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

والمراد مجدني يا عبدي بذلك الصوت. ولذلك كان يقول: «اللهم لا أحصي ثناء عليك»[1]، أي كيف أحصي ثناء عليك وأنت تفعل بي هذا أي المكافحة الذاتية بالذات للذات في الذات، وأنت رب عظيم واسع محيط، وأنا عبد رق خالص الرقية، كيف أحصي ثناء عليك.

وهذا أنتج أنه معشوق محبوب مطلوب محب، وذلك لما كان يشاهد من عجزه عن القيام بأعباء الربوبية تفصيلًا، فاعجب من غاية العلم في عدمه وعدمه في العلم ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: 91].

وتذكر قضيته ليلة الإسراء لما زج به في تلك المهامه ووصل إلى ما وصل، سمع خلف حجاب سره: الله أكبر، فتأمل ما تحت هذا البيان، وليس من اللسان. هذا المعنى الأول في المراد بالفتح وهو طلوع شمس الأحدية المحضة التجريدية في سرائر عوالم جثمانيتك.

أو تقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: 1] بأن فتحنا لك أبواب المواهي والماهيات الإلهية بحيث صرت تكرع من سائر مناهل مشارب عناصرها إلا الاسم الباطن فهو خاص بالباطن سبحانه جلت عظمته.

وهذا الفتح لا يمحقه صلى الله عليه به بحيث لا تحقيق عنده في هذا المشهد، بل يكون ظاهرا فيه متمكنًا مبينًا لأجل ستر الله عنك عوالم نفس ماهيتك وحقيقتك بشروق شمس ذاته وحقيقته ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ﴾ [المائدة: 117]، وهذا هو السر في الإتيان بالاسم الجامع، أي ليستر ذاتك عنك الله ما تقدم من ذنبك، ذنب ظهورك وانتشارك في منازل التفصيل الفرقاني الفرقي، وما تأخر أيضًا من ذنبك هو أيضًا. وذلك أنه عبد، ومقتضى كونه عبدًا ظهور مقتضياته، هذا هو ذنبه.

﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ﴾ التي هي طروق نعوت الهوية المطلقة المتجلية عليك آونة بعد آونة وطورًا بعد طور وحالًا بعد حال وهلم جرا .﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 2] صراط بحتية أحمدية هوية ماهيتك، بحيث أحطت بها وعرفتها إجمالًا وتفصيلًا في مقام ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۝١٣ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (486) [1/352].

أَنَا﴾ [طـه: 13-14] وفي مقام ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: 1] أي في ليل نعت بحتية أحمدية ماهيته لأنها من نعوت الأحدية المطلقة من مسجد كثرات الانتشارات التفصيلية أي عين الإجمال الضدي إلى المسجد الأقصا الذي هو الغيب المطلق المكنى عنه بالذات الأقدس والجمال المطلق ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ [الإسراء: 1] التي هي بحتية أحمديته الصرفة الساذجة، وذلك لأنه هو السميع به منه البصير به فيه .﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح: 3] على مراتب الهوية المطلقة بحيث أحميتك فلا يحصل لك منها تطرق ولا سائر ما تعطيه. وهذه الإشارة من العلم الإلهي المكتوم، وهاهنا أمور تقطع دونها الأعناق.

أو تقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: 1] بأن أعرناك قوتنا الإحاطية الوسعية المطلقة عن القيد والتقييد لأجل أن يغفر لك الله، أي: يستر عنك الطوارق التي ترد عليك من قبل الاسم الجامع الذي هو الله، ما تقدم من ذنبك الذي هو تخلل روح حقيقتك بالروح الرحماني، وما تأخر أيضًا من تخلل ما ذكر أيضا وذلك لأنك عبد. ويتم نعمته عليك التي هي الفتح الإلهي في مواطن الكثرة فلا يحجب عن هذه بهذه، ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 2] صراط الوسع الرحماني المتلو عليه من قرءان الجمع، وينصرك الله، أي: ويحصل لك النصر على ما ذكر بوسعية مقتضيات الله، نصرًا عزيزًا منيعًا، الوصال لا يطار تحت ظل جناح شعاعه.

أو تقول: إنا فتحنا لك فتحًا، أي: نشرنا عليك أردية الإنسانية العبدية العنصرية، لكي يغفر لك الله، أي: يستر حقيقة أحمديتك عن غيرك وغيره هو أيضًا، لكن غيره باعتبار الكثرة، ما تقدم من ذنبك وهو الاطلاع على مفاتح الغيب الإطلاقي المنزه عن الإدراك، وما تأخر هو أيضًا، والمراد: هو مناف لعبديته، ويتم نعمته عليك وهي ظهور مقتضيات ذاتك الكلية، ويهديك صراطًا مستقيمًا صراط شهود ذاتك الإجمالية في ذاتك التفصيلية، وينصرك الله نصرًا عزيزًا في مضامر التبيان.

أو تقول: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا أي فتحنا لك إجمال طي أحمديتك لنشر تفاصيل فروق فرقاني محمديتك، والمراد نشرنا طَيَّك ونقلناه من زوايا البطون

إلى عروش زوايا الظهور، أي: فتحنا لك منك فيك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك، أي: ليستر عنك ذنب التخلل بالنفس الرحماني ويتم نعمته عليك برؤية إجمالك في تفصيلك وتفصيلك في إجمالك، ويهديك صراطًا مستقيمًا، الأين في البين أي التشبيه والتنزيه وينصرك الله نصرًا عزيزًا.

أو تقول: إنا فتحنا لك بعد ظهور هيكل جثمانيتك فتحا مبينا فتح أبكار مسميات الأسماء الذاتية، اللاتي أعطي منها سيدنا آدم البشري الأسماء فقط، لأجل أن يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك، المراد أيضا هو ولكن في مجالي تفاصيل أجزائه الكلية كالأنبياء والرسل. والمراد بالذنب سؤال الكليم الرؤية بقوله: أرني، وقد عاتبه الحق بقوله: ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ [الأعراف: 144] والمراد دع ما لم آتك. فلما أفاق قال: سبحانك تنزهت عن أن ترى في غير المظهر الأحمدي والمحمدي، تبت إليك من طلب فتح الطلاسم المقفولة إلى أن يظهر بها الإنسان العبدي، وأنا أول المؤمنين بأنها خاصة بكذا. وليس المراد أنهم منعوا منها، بل المراد منعوا من الكفاح التجريدي الكلي بكل كلياتهم في كل كلياته الأحمدية والمحمدية في الحياة المتعارفة وما تأخرهم الإلهيون الذين يزعمون ما ذكر أيضا ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود: 113]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 110]، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [يوسف: 6] فيهم بإرسال سجال العطايا من البحتية خلف الحجاب الأعظم ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: 2] لا ينتج اقتحام عقبة القهر ولا شكرًا ولا اصطلامًا ولا يضيع شيء من الشرائع. وينصرك الله نصرًا عزيزًا: شهودك الأشياء في محلها فلا تطرق لك موانع من هذا المشهد. أو تقول: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفتح: 1] وهو فتح أحمديتك ومحمديتك باصطحاب الخمر بالأوان بعد تزويج الخمار، وإزاحة برقع الخمار، [زوجتها والزمان طفل].

لكن المراد الظهور لأجل أن يغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وهو اشتياق المحمدية للأحمدية في بطون كلية كليتها:

ويبقى الود ما بقي العتاب إذا ذهب العتاب فليس ود

وما تأخر أيضًا لأنه أول في آخريته وهي في أوليته. ويتم نعمته عليك بأن

جميع الحلل المفروغة على المحمدية تفرغ على الأحمدية بدون فارق ولا بين. ويهديك سراطًا مستقيمًا: أحمديتك محمديتك وهي هي ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: 187]. وينصرك الله ألخ.

أو تقول: إنا فتحنا لك المراد هو في مجالي التفصيل الفرقاني، وإنما لأجل كونهم ليسوا غيره بالغ فيهم، فتحا مبينا فتح طلاسم الرؤية الساذجة عن سائر التعينات والمقتضيات، المراد أن أقفال الرؤية كانت مسدودة ومكنوزة إلى أن ظهر بها الهيكل المحمدي، هناك صارت مفتوحة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ [الفَتْح: 1]. وهذا معنى قول أبي يزيد: خضنا بحرًا وقفت الأنبياء بساحله، هم فاتتهم في الحياة المتعارفة بقيد كونها في مجلى الأحمدية والمحمدية، وإن كانوا هم أول من سقوا منهما معًا عند ظهور الهيكل. لكن المراد في آن واحد في الحياة المتعارفة، تأمل.

وإشارة كون هذه الآية فيها ثلاث وأربعون نقطة هو أن القبضة الأحمدية لما برزت من الغيب المطلق للغيب المطلق سقاها الحق بحلى ما له من الاستحقاقات ثم بعد ذلك سقاها بكؤوس أربع: الأول كأس الجمال، والثاني كأس الجلال، والثالث كأس الجمال والجلال، والرابع كأس الكمال. فهذه الكؤوس الأربعة هي المشار إليها بأربعين نقطة في كل كأس عشرة، وإشارة ما ذكر هو أنه كان يبقى في فلك تسبيح آلاء مراتب ذلك الكأس عشر سنين، والثاني كذلك الخ. والنقط الثلاث إشارة للأمهات الثلاث التي وقع فيها الظهور: الواحدية والألوهية والرحمانية.

ثم إن في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾ فرائد:

الفريدة الأولى: ثبوت محبوبيته صلى الله عليه في الجناب الأقدس، وهذا صريحةُ الآية فيه.

الفريدة الثانية: ثبوت مراد الحق تعالى أكثرية مخاطبة محبه عكس الأنبياء والرسل، ألا ترى إلى قوله: عصاي أتوكأ عليها الخ كان هو مريدا لأكثرية الخطاب مع ذلك الجناب. وهاهنا الحق تعالى يريد أكثرية الخطاب مع محبوبه الحقيقي. وهذا مأخوذ من مكافحة الخطاب له بالكاف أولًا وثانيًا وثالثًا ورابعًا: فتحنا لك،

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ﴾، ﴿مِن ذَنۢبِكَ﴾، ﴿نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾، ﴿وَيَهْدِيَكَ﴾ [الفَتْح: 2]، ﴿وَيَنصُرَكَ﴾ [الفَتْح: 3]. وهذا سر عجيب لم يعثر عليه في العلم الإلهي.

الفريدة الثالثة: ثبوت مكافحته ﷺ للجناب المطلق في كل أحواله وشؤونه ومقتضياته، وهذا مأخوذ من قوله: ليغفر لك الله، وينصرك الله، ولا شك أن هذا كان دائمًا له.

الفريدة الرابعة: ثبوت تولية الحق شؤونه ﷺ بنفسه، لا بواسطة ملك ولا غيره. ومنه: وما رميت إذ رميت حسا، وهذا من قوله: إنا فتحنا لك، ليغفر لك الله، ويتم، ويهديك، وينصرك، أي هو هو في كل شيء شيء.

الفريدة الخامسة: يؤخذ من الكلام التخلق بما كان يفعله ﷺ، وهو لم يكن له ذنب أصلًا، ومع ذلك كان يستغفر الله في اليوم سبعين مرة، سيما من كان له ذنب.

الفريدة السادسة: أخذ التخلق بأخلاق الله ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢﴾ [الفَتْح: 2]، فينبغي للإنسان التخلق بأخلاق الله في الصفح وكثرة الحلم وإتمام النعمة والهداية إلى الصراط المستقيم والنصر العزيز إما بالفعل أو القول أو الهمة.

الفريدة السابعة: جواز الامتنان على من أسديت له مننًا أو ستسديها له كما هنا.

الفريدة الثامنة: جواز الإخبار بما سيقع، لكن بشرط كون المخبر مصدقًا وهذا من قوله: فتحنا.

الفريدة التاسعة: ثبوت غفران الحق له ﷺ في مجالي تفاصيله الفرقانية، وهذا مأخوذ من قوله: ليغفر لك، أي لك في مظاهر مراتبك، وهذا مع ضميمة قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33].

واعلم أن سبب استغفاره ﷺ إنما هو مما كان يتوارد عليه ويكثر من صدمات الأحدية، وفيوضات الجبروت الصمدانية، بحيث كان يغيب هو في هو حتى لا يبقى هو. فحين يرجع من تلك الحالة إلى الفرق الثاني الجمعي، يستغفر الله استحياء منه كيف غمضه واستغرقه في بحر نقطة خال جمال حسنه وإحسانه، فسمى ما كان في تلك الحالة غينًا.

وقوله: «فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة»[1] يرشح مذهبنا وأنه دائما في الكفاح المجرد، ولذلك يستغفر الله في اليوم كذا وكذا مرة لأنه غطاه بوصفه، وحدوثه بقدمه. وإنما خص القلب لأن أول الصدمات على عرشه تبدو، ومنه إلى سائر العنصرية. أستغفر الله بشاهد ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝﴾ [الشَّرح: 2-3] وهو رق الحدثان الذي أثقل ما كان في غيب الكنزية بسبب تمثاله بشكل الصور، فكان مجلى لجميع الأضداد فيه في وقت واحد لوسعه الجمعي الفيضي الكلي الوتري.

تجمعت الأضداد فيها لسترتي.

واعلم أيضا أن شهوده ليس خاصًا بحضرة دون مرتبة بل عامًا في جميع الدوائر، وأرفع ما يكون فيه مرتبة: الأحدية على تخالف بطونها. والنكتة في أرفعيتها على غيرها كونها خاصة به على ما هو عليه فيها من البحت الساذج وليس كلما نزل يرى ما نزل عليه أرفع مما كان فيه، لا لا. وأما ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝﴾ [الضحى: 4] فهو في غير الأحدية. والخيرية هنا بالنسبة لغيرها من سائر الحضرات، وعليه فليس استغفاره مما كان فيه بالنسبة لما رأى مما نزل إليه.

ولك أن تقول: لا سبب لاستغفاره ﷺ إلا كمال عبوديته، فإنه كما أنه كامل في مراتب الحرية كذلك هو أيضا كامل في مراتب العبودية، ومن هذا دعاؤه، وتمايله عند سماع الألحان.

ولك أن تقول: لا اطلاع لأحد على سر استغفاره ﷺ، وذلك لأن المقام الذي استغفر منه أنت سمعته ما هو، وعليه فلا يدرك له نكتة، ولا يعرف هذا المقام أكابر الرسل فأحرى غيرهم. هذا هو الذي يرتضيه الملكي الإنسي سيدنا الشيخ متعني الله بحياته وسقى الكون من وابل معين راح من استنشق عرق فيوضاته.

أين الحضيض من السماك الأعزل ماذا أقول وكل وصف دونه

---

(1) رواه ابن ماجه في سننه بلفظ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة»، باب الاستغفار، حديث رقم (3817) [2/ 1254]، ورواه الترمذي في السنن، باب ومن سورة محمد، حديث رقم (3259) [5/ 383]، ورواه غيرهما.

وأتروح بقول العارف ابن وفا، ولعله فيه قاله، رغمًا على من قاله:

قل ما تشاء فأنت فيه مصدق الحب يقضي والمحاسن تشهد

وقالت الخنساء رضي الله عنها:

فما بلغت كف امرء متناولًا من المجد إلا والذي نال أطول

ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولو جذقوا إلا الذي فيه أفضل

لكن جرت عادة الله تعالى بالطعن على أوليائه وخاصة أصفيائه بشاهد قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ وكذلك ولي ويأتي شاهده ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: 112] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام: 53] وقد أرشدنا الحق بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: 112] وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: 91] وقال: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: 10] وقال ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: 34]. وقال سيدنا ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، ابن عم خديجة لسيدنا ﷺ: لم يأت رجل بمثل ما جئت به إلا عودي. وذلك لأن النبي كوارثه يأتي بما لا تألفه البشر كالغيوبات والفتوحات والكمالات، فإذا جاء بما لا تعرفه، أنكرته لجهلها. ولا ينقاد لذلك إلا من أيد بالروح السلطاني والسر الحقاني كالصديق الأكبر وكوارثه ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: 56] وذلك أن من سبق عليه، والعياذ بالله، القضا لا تنفع فيه الرقى، **«من آذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة»**[1] لكن:

ما ضر شمس الضحى في الأفق ساطعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

وأيضًا:

فلا عليك إذا باراك ذا خبل وإن توحدت في أفق العلا قمرا

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم، حديث رقم (609) [1/ 192]، ورواه القضاعي في مسند الشهاب، حديث رقم (889) [2/ 326]، ورواه غيرهما.

وأيضًا:

ويعمي أعين الخفاش مثل النهار يزيد أبصار الورى نورا

والله أعلم.

ثم إنه يؤخذ من سياق هذه الآية أنها خرجت مخرج الامتنان عليه ﷺ، ولا شك أن الامتنان يستلزم ظهور ما امتن به، وهذا يعبر عنه بالشكر، فكما أن غيره ﷺ مأمور بالشكر، كذلك هو أيضا مأمور به. وهاهنا أذكر قوله: **«أنا سيد ولد آدم ولا فخر»**[1]، فإن معناه عندنا والله أعلم أن الحق تعالى لما أمر هذه الموجودات بشكر الوسائط، وكان سيدنا محمد ﷺ من جملة من أمر بشكر الوسائط، فلما نظر صلى الله عليه به لم يجد غيره واسطة بينه وبين محبوبه، فنفسه هي وساطة وواسطة وبرزخ بينه وبين مطلوبه، شكر نفسه بنفسه صلى الله عليه به في قالب **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد وما من نبي آدم فمن دونه إلا تحت لوائي ولا فخر»**، رواه الترمذي وقال حسن صحيح وأحمد وابن ماجه وصححه الحاكم عن سيدنا أبي سعيد الخدري.

نقول والله أعلم: ليس يوم القيامة عندنا غير عالم الشهادة والحكمة، فهذا العالم هو يوم القيامة وهو المحشر وهو الجنة وهو النار. فقوله: أنا سيد ولد آدم يوم القيامة يعني من أول ما ظهر سطح كرة العوالم وهو أسها وأساسها على حد قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: 4] ليس يوم الدين غير أيام الدين، فهو الظاهر بملكها لا غيره، لأن الكل فانٍ مستهلك في جانبه الآن، بل في كل وقت وحين. ونقول في قوله ﷺ: **«وبيدي لواء الحمد»**، المراد بالحمد أولًا هو ذلك المقام المعبر عنه بحمله الأمانة صلى الله عليه به وهو الذي يكون مكافحًا للتجريد الأحدي الصرفي البحتي بدون نعت ولا شيء من الستور.

والمراد بكونه في يده أنه منه يبسط أرديةً وأشعةً من هذا المقام على بعض إخوته أو ورثته على قدر القابلية المبسوطة عليهم منه صلى الله عليه به. فواحد

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، حديث رقم (4189) [2/ 660]، ورواه ابن ماجه في السنن، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (4308) [2/ 1440]، ورواه غيرهما.

يبسط عليه أردية من الجمال، وآخر أشعة من الجلال، وآخر مناهل الكمال، وآخر موارد من الجمال والجلال، وآخر معارف من التشبيه، وآخر مصادر من التنزيه، وآخر قوادس من الرحمانية، وآخر جلابيب من الرحيمية، وآخر براقع من القابضية، وآخر قبض من القرب والمعية، وآخر منطقة من معية الذات، وآخر نعت من غيب السر، وآخر مشهد من سر الغيب، وآخر عهد من عهود غيب الغيب، وآخر رسم من رسوم الغيب الشهادي على مراتبهم في الترقي والتدلي، وآخر بوارق من معية الصفات، وآخر لوامع من الأسماء، وآخر طوالع من النفحات، وآخر نفحة من الكمالات، وآخر نهكة من المكابدات والمجاهدات، وآخر وردة من الأنس، وآخر بارقة من الجود والنوال، وآخر بردة من المحادثات، وآخر روضة من الفتوحات والكمالات، وآخر أضداد من الفهوانيات، وآخر كؤوس من الخمريات، وآخر حروف من الغزليات، وآخر رسائل من الوجد والهيمان والتوله والتدله، وآخر إشعار بالنسمات، وآخر قوارير من سلسبيل القربات، وآخر لذة في الدعوات، وآخر في المعاني والنفثات، وآخر معاني حديثيات، وآخر إلقاء آيات متشابهات. فكل على قدر قابليته وطالبيته، فهذا هو معنى كون اللواء بيده لا يخرج شيء لهم إلا منه وفيه وعلى يديه.

ونقول أيضًا في قوله ﷺ: «وما من نبي آدم فمن دونه إلا تحت لوائي»، ما ثم مدد ولا رزق من الأرزاق المعنوية يخرج لأحد، ولو لأبي البشر، إلا على يديه صلى الله عليه به، وذلك لأنه البرزخ الجامع. فجميع الإمدادات الخارجة للعالم العلوي على طبقاته والعالم السفلي على مراتبه ليست من غير حقيقة برزخية أحمديته، فالكل إليه مستند صلى الله عليه به. يقول جل ذكره: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝﴾ [الرحمن: 19-20] نقول هما بحر الحقيقة المطلقة وبحر الحقيقة المطلقة المقيدة، ولا شك أنهما مرتبطان اللاهوت متصل بالناسوت وهو متصل باللاهوت. فالرب والمربوب مرتبطان بينهما برزخٌ وهو الحقيقة الأحمدية الحقانية ولا شك أن البرزخ لا يسلك شيء إلا منه وعليه. وكذلك هو صلى الله عليه به فإنه برزخ بين البحرين لا يصل شيء من الحضرة إلا منه وعلى يديه كائنًا من كان ذلك الواصل إليه المدد سواء كان نبيًا أو رسولًا أو ملكًا، فالكل تحت حيطته مخيم وما خرج عن الدائرة أحد. بيد أن الناس في ذلك متفاوتون كما

تقدم ويأتي. فكل فضله على قدر سقيه منه صلى الله عليه به وقربه منه القرب الخاص. وإلا فالكل عينه، وهويته هويته، شعر بذلك من شعر وحجب من حجب.

فإذًا سيدنا محمد صلى الله عليه به هو البرزخ الجامع الذي لا يصل لأحد شيء من الإمدادات والكمالات إلا على يديه صلى الله عليه به. وصاحب هذا المشهد يكون ذا عينين: صاحب حقيقة يشهد أن الله هو المبدي وهو المستبد بالإيجاد والاختراع، غني عن العالمين، وصاحب شريعة يشهد أن لا بد له من واسطة بينه وبين الجناب الأقدس، إذ لا قوة له على مكافحة ذلك الجناب حتى يقدر على التلقي بدون وساطة. مثلا القِدر إذا كان في غليانه هل يقدر أحد على مباشرة ما فيه بدون آلة واسطة بينه وبينه؟ لا لا، بل لا بد من الآنية التي تلقى عنه تلك الحرارة المعنوية هاهنا، والحس هو المعنى، فإن تلك القوة المنبسطة عليه صلى الله عليه به من ربه أعطته التلقي بدون تأثر مما يرد عليه من تلك الصدمات لقوله تعالى: ﴿قٓ﴾ [قٓ: 1] فإنه أقسم بقوة ظاهره، وأما باطنه فأشار لقوته ب ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ فلاشك أن أحمديته حاوية لجل الكمالات الإلهية إذ هي الكتاب المبين الذي ما فرط فيه من شيء، لكنه كله متشابه، ولا شك أن هذا لا يحصل إلا لمن أحاط خبرًا بجل الحضرات الغيبية واستودع عنده مكنون ما فيها، وهو كذلك إذ هذا كان عنده يوم لا يوم لأن القرآن أنزل عليه هناك في تلك المهامه من الذات للذات بالذات هناك تُلِيَ عليه. يقول جل ذكره: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾ [النمل: 6]. إن شئت قلت المراد بالقرآن قرءان الجمع أعني الجمال المطلق أي الحسن المجرد عن سائر النسب والإضافات بدون نقاب أصلًا وهذا المعنى من عند حكيم عليم لا وساطة لأحد ولا منة. إذًا لفرض أنه غير موجود ما ثم إلا شمس أحدية تتلوها شمس أحدية أحمدية، وهذا كان في كهوف غارات الكنزية لذلك خفي على بعض الناس. ويرشدك لهذا المعنى قوله لتلقى أي أنت.

وأيضًا قوله: إنك، المشعرة بالفهوانية به منه إليه. وإن شئت قلت: المراد بالقرآن القرآن التفصيلي وهو اللفظ المنزل عليه صلى الله عليه به بعد بروزه لهذه المعاهد. ولا شك أيضا أنه من عند حكيم عليم لا برزخية لأحد إلا أحمدية نفسه وماهيته، فبعد بروزه لعالم الشهادة: إنما كانت أحمديته تتلو على محمديته بدون

وساطة لأحد، وإنما لشدة تمكينه في مقام العبودة كان يظهر ذلك في السفير مع غناه عنه، وإنما كان يأتي مسخرًا رسولًا بين أحمديته ومحمديته. على أنه كان لا يدري ما يأتي به كقضية ﴿كٓهيعٓصٓ ①﴾ [مريم: 1] فهو غني لا عن جبريل ولا عن غيره، بل هو صلى الله عليه به الفقيه الذي يملي على صبيان مكاتب اللوح المحفوظ وسائر طبقات الملائكة كل ما يحتاج إليه في كيفية تسبيحه وما يرجع إليه. فما ثم حركة تصدر في عالم الخفاء أو عالم الظهور إلا وهو ممد تلك الجزئيات أو المركبات بحيث لولا سريان سر مدده فيها لتعطلت موادها، ولا كذلك سيدنا جبريل فإنه صلى الله عليه به هو قلم لسانه الذي كان به يكتب، فإنه الشيخ والإمام والمقدم وسيدنا جبريل خدم من خدامه وحشم من حشمه صلى الله عليه به. على أن سيدنا جبريل لا قوة له على مكافحة محياه صلى الله عليه به لولا كونه ضمه أولًا وثانيًا وثالثًا، فلولا ذلك الضم ما قدر على التلقي أولا من نعت أحمديته ولا إلقاء ذلك التلقي عليه بعد غناه عنه. فكان سبب الضم هو إلقاء أشعة من قواه صلى الله عليه به على الخادم كي يقدر به على التلقي والإلقاء.ولم يكتف فزاد ثانية، ولم يكتف فزاد ثالثة، على أنه ما اكتفى:

لا أكتفي بوصاله لو دان دهر الدهر زائر

لكنه لو زاد ضمة رابعة لتصدعت أزرار هيكله ولم تقم لتلك القوى، فخاف على تلاشي ذاته فكف اضطرارًا. وأما لولا تلقيه منه بعض قواه ما قدر على التلقي من أحمديته وإلقائه على محمديته. فهو سيدنا صلى الله عليه به غني عن العالمين استبدادا بالنسبة إليهم، لكن شدة تمكنه في أرض العبودية والعبودة أعطى ذلك وأكثر. ومن ذلك: «**لا أدري حتى أسأل جبريل**»[1]، فهل نقول إنه غير عالم فاحتاج لسيدنا جبريل؟لا لا لا وإنما لشدة رسوخه في مقام العبودية ظهر بما ذكر صلى الله عليه به، ولولا بسط سيدنا صلى الله عليه به أردية من قواه عليه لتلاشى، لكن حكمة الحكيم اقتضت ذلك.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم (2612) [4/ 2017]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر العلة التي من أجلها زجر عن هذا الفعل، حديث رقم (5605) [12/ 420]، ورواه غيرهما.

فإذًا له صلى الله عليه به الهيمنة على جميع الحضرات. ويرشدك لهذا أيها الأديب قوله: «إن الله خلق آدم على صورته»، نقول إن المراد بآدم الأكبر، والصورة كناية عن ما هو عليه من الحيطة والشمول لجميع حضرات الإمكان وجل مكامن الوجوب، فهو محيط ومحدق بجميع دوائر العوالم كله إلا الجناب الأقدس فانقطعت دونه الأسباب، ومع هذا كله إنما هي استمدادية كما يشهد ذلك قوله: خلق، فإن الخلقية تستلزم الافتقار الذاتي.

لك أن تقول في قوله: «خلق الله آدم على صورته» إن المراد بآدم الأكبر، الأول الثاني، الجسم الكلي، هيولى سائر المواد، والمراد بالصورة ما هو عليه من الاتصاف بالبطون الكلي في عين الظهور الكلي، فكما أن الأنموذج متصف بذلك، كذلك نسخته متصفة بحكمي البطون والظهور، فمن شدة ظهوره خفي عن البصر، وظهوره كناية عن سريانه في جميع جزئيات العالم ومع ذلك فهو باطن لا يدرك:

وما احتجبت إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

والقرب الحقيقي هو وصول الإنسان إلى حق اليقين بحيث يكون دائمًا بين يديه تعالى مشاهدًا له، وهذا المعنى هو المعبر عنه بالمعية. فقرب المبتدئ ومعيته استشعاره بلطف الله تعالى به، وأنه مطلع عليه على سبيل العلم اليقيني وسامعه إذا دعاه، وقرب المستشرف هو اطلاعه أن الحق تعالى معه وينتج له ذلك الأنس والهيبة به، أو بموارده أو بمحادثاته أو بمسامراته على سبيل العين اليقيني، وقرب المنتهي هو اطلاعه ووصوله إلى الحق اليقيني المعبر عنه بالمكافحة، لكن يقع التفاوت في ذلك، ومعية المنتهي بالذات لا بالصفات ولا بالأسماء على ما ينبغي ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 79]، ولا شك أن المنتهي صاحب وسع فيتجلى له مشهوده في عدة مراتب، منها التشبيه في التنزيه فيقع له ما ذكر، وهذا خاص بأكابر الرسل كالخليل ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام: 76-79].

نقول والله أعلم إن الخليل عليه السلام به لما جن عليه ليل ذوائب نعوت الأحدية الصرفة وضجت نجوم الأسماء والصفات من الظهور إلى حلل الذات، رأى كوكب الأحدية أعني نعتًا من غيوباتها مجردًا عن النسب والإضافات، لكنه في مجلى التشبيه، لذلك عقبه بقوله: فلما أفل، أي غاب التنزيه في التشبيه وبقي التشبيه مجردًا صرفًا عن سائر المقتضيات، قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: 76]، فكأنه تعوذ من هذا التجلي الذي لا يثبت له إلا الأكابر من الرسل أو ورثتهم.

ثم ظهر له في مجلى قمر تفريد الأشعة المنبسطة منه إليه على سائر جزئيات الهيكل، هنالك تمحض النور وبقي نور على نور، فلبى وقال: هذا ربي بلسان التلبيس المعبر عنه بالتشبيه، وهو مقام خاص بأكابر ورثة الأحمدية. ثم لما غاب في ظهور التنزيه، ترنم بقوله: لئن لم يهدني ربي، أي لم يوصلني إلى بساط شهود التشبيه في التنزيه المعبر عنه بني في قوله: يهدني.

فظهر أن عندنا مقامين: التنزيه في التشبيه، والتشبيه في التنزيه، وهذا الثاني أكمل لأن الأول ربما يتمحض له التشبيه بخلاف الثاني بشاهد قوله: ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: 77] عن شهود التشبيه في التنزيه.

ثم تجلى له في شهود شمس تفريد الضدين، والحال أن المشهد الأول لا زال. ثم لما أفلت قال: ياقوم النفس والعقل والقلب والروح والسر الأجلى والأخفى ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19]، ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ﴾ أي سماوات التنزيه، ﴿وَالْأَرْضَ﴾ أرض التشبيه، ﴿حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 79].

وكالكليم عليه السلام به في رؤيته للنار، ويرشدك لذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ فإن من واقعة على ما علم، لكنه تدورك بالتنزيه في قالب ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: 8] وقوله: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ﴿١١﴾﴾ بصيغة البعد مع أنه في عين القرب ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ نعلي

الإمكان والتشبيه ﴿إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [طه: 12] عن الدخول إلا بحلل أحمديتي ومحمديتي.

وكذلك سيدنا ﷺ به فإنه وقع له ما ذكر، لكن لا مماثلة: «رأيت ربي في صورة شاب أمرد»[1]، وهو بحتية صرافة أحمديته فإنه رآها به هو، لكن في المقام الثاني لا الأول كما تقدم. وللورثة نصيب من هذا.

ثم إن التشبيه في الأنموذج إنما هو حكمي لا عيني، بخلاف التنزيه فإنه عيني وإن كانت الذات جامعة لكن ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝﴾ [الأعلى: 1]. فإن قلت: ما الفرق بين معيته ﷺ وبين معية غيره من الإخوة؟ قلت: الفرق هو التجريد الكلي في جانبه ﷺ بحيث لا نقاب ولا نعت، الكل يكون بحكم البطون وذلك للقوة المبسوطة عليه من قبل مشهوده الكلية الإحاطية الوسعية التي لو وضع جزء منها على العالم لتلاشى، وقد انبأنا لذلك قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: 40] حيث آثر التعبير بالاسم الجامع دون غيره، بخلاف غيره فإن لهم تجريد دون تجريد، ومع ذلك خلف حجابية برزخية أحمديته، وقد أرشد لذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ﴾ [طه: 46] تأمل جدًا.

فإن قلت: هل ثم فرق بين المعية ونزول الرب؟ قلت: نعم، وذلك لأن المعية تحصل للمبتدئ والمستشرف والمنتهي، كل على قدر القابلية المبسوطة عليه من أم الكتاب، أولًا بشيء من الخوف في الباطن، ثم ينتج ذلك مرتبة من مراتب المراقبة، ثم بالأنس، ثم بالبسط ثم بالتوسع فيه، ثم يصير يترقى في مشاهد المعية إلى أن يصل في مسراه إلى منهل: «فإذا أحببته كنته»[2]، هنالك يتحقق بهوية المحبة.

نكتة: هذه المحبة كانت قديمة بقدم الذات، وهي التي أنتجت مقتضى المحبة الذي هو بروز الإجمال في عنوان التفصيل. وعليه فهي كانت قديمة، وإذا كانت قديمة فالمراد هاهنا الشعور: لما يتلاشى شكله ورسمه ووسمه واسمه

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، [1/ 437]، وصححه ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (7/ 229)، والسيوطي في اللآلئ المصنوعة [1/ 34].

(2) رواه بنحوه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6137) [5/ 2384].

ونعته وكله، ويصل إلى مقام ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ﴾ [المائدة: 117] هنالك يظهر ما كان خفيًا، فإن الهوية كانت فيه أولًا بحكم البطون بل والظهور، لكن أصوار الأين حجبت العين. فلما تظهر له وتتمحض عند ذهاب أينه وغينه وبينه وانطواء فرعه في هيولى أصله، هنالك تظهر له خلف حجابية محمديته وأحمديته فيشهدها دونها، ثم يعرج به إلى شهوده فيها، ثم يسرى به إلى شهوده في سر سره الأخفى عند ظهور مسجد الفضاء، في محراب ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: 205]، وفي تلقي قرءان الجمع من ذاته لذاته ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: 14] هنالك تتمحض له هوية: فإذا أحببته، ويعرف معنى نزول الرب في الثلث الأخير من الليل. فإذا معنى ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل أن المفتوح عليه بعد أن يتجرد له الجسم الكلي في حقائق مباني الصور، ثم يتجرد له فيه منه إليه عاريا عن الأشكال والمباني، ثم تتجرد له الحقيقة الأحمدية في نفسه، هنالك يجدها حقانية صرفة، لا رقية ولا عبدية وإنما ربية محضة.

وإنما سماه ليلًا وذلك لأن أحمديته من قبيل أحدية الجناب الأقدس، والكل دياجي جامعة لضدي النور والظلمة، وكنى بالنزول عن الظهور، فإن النزول يشعر بالظهور، وهو المراد من: «فإذا أحببته». وإن شئت قلت أن المراد: إذا فني عن ماهية نفسه أولًا، ثم عن محمديته ثانيًا، ثم عن أحمديته ثالثًا، هنالك لما يفنى فيها يجد شمس الحق تلمع خلف جبال نعوتها فهناك يظهر له الرب مجردًا بعد استوائه على عرش مربوبيته، فيظهر هناك بنفسه لنفسه، وهاهنا يعرف المحقق الأكبر أن جميع آيات التشبيه القرآنية كلها على ظاهرها من غير تأويل، أعني مع التنزيه الذاتي فافهم. فالصواب الموافق للكشف الذي لا يخطيء هو مذهب السلف، لأنهم اطلعوا على هذا، بل نقول لم يثبت عن من أوتي جوامع الكلم أنه أول الآي الموهمة للتشبيه ولا أصحابه، وما ذلك إلا لإطلاعهم على ما اطلعنا عليه وراثة منهم. وتذكر قوله للجارية: أين الله، حيث آثر التعبير بالأين مع أنه أوتي جوامع الكلم وله قوى على التعبير، وليس مراده بذلك إلا أنها من حيث أبصرت أسارير جبهته الروحية حصلت على التنزيه الذاتي، فأراد أن يزج بها بساط التشبيه الحكمي للجناب الأقدس. هذا المراد له ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: 10].

وإياك أن تفهم التجسيم، حاشى، فعلومنا مشيدة بالكتاب والسنة، ولأجل هذا نقول: طريقتنا هذه محمدية أحمدية إبراهيمية صديقية أويسية كتانية، فمن فرط في أورادها أصيب بسهم مسموم في قلبه، خصوصًا عند موته، لأنها أوراد هؤلاء الأكابر. وقد وعدني ﷺ بأن من أخذ طريقتنا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر له ولسبعة من أجداده ولجميع من يليه من النسوة كالخالات والعمات وهلم جرا، وبأن أصحابنا يوم القيامة تنصب لهم المنابر من نور على تل عال حتى يعرفهم جميع أصحاب القوم، وأن لهم الحظوة عليهم، وهناك يغبطهم الكل ويدخلون الجنة بدون سابقة عذاب.

فإذًا الإنسان من حيث هو لاهوت وناسوت، حس ومعنى، فرق وجمع، كرم وخمر، كثيف ولطيف. وهاهنا بديعة وهي أن هذا الهيكل العنصري الإنساني جامعًا للتشبيه والتنزيه. فدائمًا العارف يشهد التنزيه في التشبيه في ذاته، والمحقق يشهد التشبيه في التنزيه، والكل مطوي فيه ومنه وإليه وعليه وبه، فلا يخرج عن غيره بل في ذاته يشهد ما ذكر، إذ ليس ثم غيره. وإذا كان محققًا فالهياكل والأرواح كلها جزئيات وقوائم من عرشه، فهي أجزاء له، ما تألم أحد إلا وهو الواقع فيه ما ذكر لأنه صار محمديًا، وهاهنا قال سيدنا صلى الله عليه به: «رأيت ربي في صورة شاب أمرد»[1]. نقول ليس غيره صلى الله عليه به، فهو ذاك الشاب الذي رآه إذ هو بحتًا صرفًا، لكنه خرج مخرج التشبيه في التنزيه، إذ هو صلى الله عليه به مثاني ستر بالمباني، فما ثم إلا هو. فهو والمرئي ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: 1] نقول إن الآية هاهنا كناية عن كشف النقاب حتى رأى نفسه بنفسه في مقام ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾ [النجم: 18]، لكنه شاهده وكافحه به فيه منه إليه في مقام التشبيه والتنزيه، إذ أزيح الحاجب حتى رأى عروسة مهمه القدم في فضاء العدم. وليس المقصود من هذا إلا تنويع المراتب له حتى لا يفوته شيء منها. ولورثته نصيب من هذا المشهد. وقد طال بنا الروح في سبحات الجلال فلنمسك.

ولك أن تقول في معنى «خلق الله آدم على صورته»[2]، المراد بآدم الأكبر

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه. (2) هذا الحديث سبق تخريجه.

والمراد بالصورة ما هو عليه من كونه لا تدرك أبصار عقول الحوادث حقيقة كنهه، فليس لهم من معرفته صلى الله عليه به إلا بعض ما يتعلق بصفاته ونعوته وشؤونه ومقتضياته وبعض ما له من الكمالات الظاهرة والباطنة. وهذا تقدم تحقيقه بما لا مزيد عليه، وتقدم ذكر مراتب ما يصل إليه كل أحد من الخلق، وتقدم ذكر ما خص به وبالحق فراجعه.

ولك أن تقول: المراد بالصورة ما هو عليه من كونه يحتاج إليه كل فرد من جزئيات العالم، فليس هناك ذرة إلا وهي مستندة إليه استنادا كليا. يقول جل ذكره ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ [الرحمن: 19-20]. نقول: البحرين كناية عن بحر الجمال المطلق والجلال المقيد، والبرزخ الحائل بينهما هو هيولى سائر المراتب والمناهل، وهي حقيقة الحقائق الحقيقة الأحمدية، فهي البرزخية القابلة من الأنموذج، الباسطة منها عليها سائر المواد والموارد المحتاج إليها العالم. فليس ثم شيء من أفراد جزئيات العالم العلوي أو السفلي، الكثيف أو اللطيف، الظاهر أو الباطن، نبيًا أو رسولًا، ملكًا أو غيره إلا وهو مستمد من هيولى ماهية برزخية حقيقته صلى الله عليه به، إذ ليس لأحد من القوة ما يقدر به على التلقي من الحضرة إلا هو صلى الله عليه به. ومثال ذلك من الحس القدر في حال غليانه، هل ثم من يقدر على الأخذ منه بلا واسطة آنية؟ لا لا اللهم من عرض نفسه للتلف، والحس هو المعنى عندهم فإذا ما ثم مشهد من المشاهد يقدر فيه على التلقي بلا واسطة. فإن ادعى أحد أنه تلقى بلا واسطة نقول له أنه ملبس عليه، لا تحقيق عنده. وإلا فليس المأخوذ منه على الحقيقة، شعر بذلك من شعر أو لا، إلا هيولى برزخيته. وهذا الأمر يدريه كل من يعقل، ومع هذا كله فإنما هو قاسم لا تظن شيئًا كما أشار لذلك بقوله: «إنما أنا قاسم والله المعطي»[1]، تأمل.

نكتة بديعة: بل الأنموذج كذلك مستمد من ناموسه، فلولا هيولاه المنبعثة منها سائر الصور والأشكال والرقوم، ما وقع تعرف ولا ظهور للغير، ولبقي الطي

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله...، حديث رقم (2945) [3/ 1133].

في الإجمال، وهو في الخفا، وهو في البطون، وهو في مهامه المهامه، وهذا المعنى استمداد في المعنى وهو المشار إليه بفأحببت، تأمل جدًا ودعها في خدرها.

ولك أن تقول: المراد بما هو عليه من كونه ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: 7]. فهو مع كل أحد على قدر قابليته، إما بالأسماء وإما بالصفات وإما بنعت من نعوت الذات، كل على قدر فنائه فيه.

فأولًا يكون ذلك خوفًا من اطلاعه عليه، ثم من مراقبته، ثم ينتقل إلى الخشية، ثم يعرج به إلى مرتبة من مراتب المعية، فلا يزال يسرى به إلى أن يصل ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4] فيصير يشهده في كل ذرة من ذرات العالم، وإذا صار يشهده فيها فهو معه.

بديعة: بل هو الرائي والمرئي فمعيته معه أي ذاته يخلو بذاته لا غير، وهاهنا تفهم قوله: المؤمن مرآة أخيه، فليس ثم إلا هو، وهو يرى نفسه في مقام إسقاط الستور والغيرة، وما ثم لذة أعظم من هذه، يصير هو يشهد هو، أي هو متجل في هوية فلان ويصير هو يشهد نفسه في مرآة أخرى، فهنيئا لمن حصل على هذه اللذة الغريبة. وقبل وصوله لها يكون شهوده فيها علمًا، ثم حالًا ثم مقامًا، ثم يصير يشهده في عالم الخيال ثم في عالم وسع الروح، ثم في عالم المثال، ثم في عالم الصور والأشكال، ثم في جثمانية طبيعته هو، ثم فيه مجردا.

ولك أن تقول: المراد بالصورة ما هو عليه من كونه تقدم له البطون الذاتي الكلي الإجمالي على الظهور الكلي التفصيلي، فكما أن اللاهوت تقدمت له الكنزية، كذلك هو، إذ هو أيضًا له كنزيات ثلاث: كنزية البطون الذاتي للذات في الذات، وكنزية أخذ العهد والميثاق في مقام استواء الذات بالذات على الذات وإجابة الصدا خلف جبال المهامه ببلى وهذا العهد كان فيه شيء من الظهور بخلاف الأول، ثم كنزية ثالثة وقع فيها عهد آخر لماهية الأحمدية، وكانت هي المجيبة، وهذا فيها ظهور أكثر من الثانية، والكنزية الثانية هي محل فأحببت له، لأنه كما أن للتفاصيل واحدية وقع لهم فيها الظهور، كذلك تقدمت له واحدية أحدية مضمتة خاصة به من غير ظهور الحروف لا الإجمالية ولا التفصيلية، ثم وقع

فتق ذلك الرتق وهو محل: فأحببت العام المسموع فيه في عالم الذر: ألست. فأحمديته كانت موجودة ثم بعد انتشار العالم برزت أحمديته في تمثال محمديته: نحن الآخرون السابقون، وهاهنا رقائق يدريها أرباب الاسمين الجامعين.

ولك أن تقول: المراد بالصورة ما هو عليه من الهيمنة والإحاطة والاشتمال بجميع مكنونات الحضرات القدسية، فما ثم منهل أو مورد أو مرتبة أو حضرة أو معهد إلا وهو محيط به جملة وتفصيلًا صلى الله عليه به، فكما أن مشهوده موصوف بالإحاطة، كذلك هو، بيد أن إحاطة الأنموذج استبدادية، وإحاطة الناسوت استمدادية، وعليه لا مزاحمة بين الإحاطة والإحاطة لمن تفهم. ويرشدك لهذا قوله في الحديث: خلق. ومن جملة ذلك القرآن التفصيلي فهو محيط به وقار فيه، لأنه تلقاه يوم لا يوم منه إليه في تلك الكنزية الأولى المتقدمة آنفا، هناك تلقاه ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝﴾ [النمل: 6] ولا زال مخبوءًا في طي حلل أحمديته إلى أن ظهرت في قالبها الإنساني العنصري الجسماني، وإنما كان يسأل جبريل عنه نظرًا لقوله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: 114] وأيضًا ليظهر كمال العبدية، وأيضا ليتمتع ذلك السفير بطلعة محياه.

نكتة: هل أحاط بمكنونات مراتبه أم لا؟ انظر رسالتنا الموسومة بالديوانة فإن فيها الشفاء، إلى الجناب الأقدس فانقطعت دون ماهيته الأسباب. ولما زج به في مقام أو أدنى رام فتك هذه المرتبة فسمع خلف حجاب العظمة: الله أكبر. فتأمل ما تحت هذه المباني إن كنت معاني للسبع المثاني.

وهاهنا مسألة من المسائل الفلسفية الإلهية: وذلك أن هوية الحق أخبرت أنها معنا أينما كنا وهي حقيقة كما يعطيه الكشف، غير أنها على قسمين: عينية وحكمية. أما العينية فللمحققين الذين يشهدون أن أعيان الممكنات لما كانت مسبوقة بالعدم ويلحقها العدم وهي مستهلكة في هوية العدم لم تشم رائحة الوجود، فهي على ما عليه حقائقها من الثبوت في هوية الانمحاق، وهي أن الكثرات تدفقت وانتشرت، فذلك الطور هو الظاهر المتصف بشيئية الثبوت، وأما عينها فما لها طعم في مائدة الوجود، فالظهور للحكم الوصفي. وأما العيني فلا

عين له تثبت، وذلك الحكم هو مصب الأمر والنهي المتوجه عليهما إرسال الرسل فتفهم. فالمعية عند هؤلاء ذاتية عينية لأن الوحدات ليست لها أعيان ثابتة، والوجود للوجود المطلق. وليس هذا عين مذهب السوفسطانية القائلين بأن حقائق الأشياء غير ثابتة وأنها أوهام وخيالات باطلة، وهذه طائفة منهم يقال لها العادية.

ومنهم من ينكر ثبوتها، ويزعم أنها تابعة للاعتقادات حتى إن اعتقدنا الشيء جوهرًا فجوهر، أو عرضًا فعرض، أو قديمًا فقديم، أو حادثًا فحادث، وهم العندية.

ومنهم من ينكر العلم بثبوت الشيء ولا ثبوت، ويزعم أنه شاك وشاك بأنه شاك وهلم جرا وهم اللادرية.

أما توجيه مذهب الفرقة الأولى وهي العادية فإنها نظرت بعين الإجمال الجمعي فعلمت أن نسبة العاشقية والمعشوقية بين الوجوب والإمكان لا تتجسم مادتها ولا تنفصم عراها، فهي دائمة مرتبطة ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾﴾ [الرحمٰن: 19]ولما كان يحصل الالتقاء وكان الجمع بين الضدين محال ضرورة، حكموا بأن الأشياء أوهام، وهي كذلك في نظر من سبر المسائل الإلهية حتى علم الكائنات وما هي عليه في تخالفها فهي ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النور: 39] بل حضرة الأحدية تمحق الأسماء والصفات نفسها فلا تتركها إلا في حكم البطون، فكيف تترك مقتضياتها تظهر وأصولها في حكم البطون السحقي المحقي، فمن لاحظ ما تقتضيه جمعية هذه الحضرة لم يجد الأعيان الثابتة لها شمة من رائحة الوجود، وإنما هي خيالات في نظر المحقق القائم بشؤون هذه الرتبة الحال بنعوت إقامة ناموس الشرائع على ما هي عليه. فلم يلغ رتبة الإمكان بل لاحظها، وملاحظتها مرادة للحق بشاهد: فأحببت أن أعرف.

هذا بلسان التحقيق أما بلسان العموم فاعلم أن هذه الفرقة إما أن تكون تعترف بوجود عالم الحس أم لا، أو تكون تقر بالقرآن أم لا. فإن أقرت بعالم الحس نقول لها: نحن بالضرورة نرى فلانًا وفلانًا وفلانًا فنجزم بثبوت بعض الأشياء بالعيان، فلا يسع عاقل إنكارها، فإن أنكروها نعلم أنهم يجحدون الحس، ولا أغبى منهم فيتركون هملًا، وأيضًا يؤدي إلى إنكار الرسل وهو آئل

إلى إنكار الشرائع والأحكام، وبالضرورة فيبطل محل الثواب والعقاب والجنة والنار. وإن لم تقر بعالم الحس وأنكرته وقالت لا وجود لعالم الحس، نقول لها: وأنت المتكلمة والمنكرة لحقائق الأشياء ما قرع كلامك سمعنا حتى برزت لعالم الحس، وأما لو بقيت في أنموذج الطي لما اتصفت بشيئية الثبوت حتى يتحقق منك العلم والإنكار فنحكم عليك بأنك لا وجود لك يثبت، وهو جمع بين الضدين لأنك موجودة بدليل صدور الإنكار منك، ومعدومة على لسان إنكارك، فإن كنتم تنكرون الجمع بين الضدين فهذا نقص لما أسستموه وهو تهافت، وإن كنتم تقرون بأن الجمع بين الضدين ممكن، فهذا وإن كان جمعًا بين الضدين لكن ما دليلكم عليه؟ إن كان الحس فقد أنكرتموه، وإن كان القرآن فإن أقررتم به فهو دال على وجود العالم، صدر ديباجته حيث قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: 75] إذ هناك الرب والعالم وهذا يؤذن بالهذيان من أفكاركم، فقد جحدتم الضرورة والقرآن يثبتنا، فنحن نحن وهو هو. وأما من قال: أنا هو وهو أنا فهو من هذا القبيل، لأنه إن أراد اتحاد الذاتين فنحن نرى الذاتين لازال على منصة الظهور وهما بوصف الوجود ونحن نحكم باتحادهما فهو محال، وإن أراد وجود الأخرى وإعدام الأخرى فليست إلا واحدًا، أين الاتحاد؟ فادعاء الاتحاد محال لأن المعنى الحاصل من الذي تريد الاتحاد به هو الذي يقول أنا، فليس باتحاد إذا، فإنه الناطق منك لا أنت، فإذا قلت أنا فأنت لا هو لأنه لا يخلو إما أن تقولها بأنانيتك أو أنانيته. فإن قلتها بأنانيتك فأنت أنت لا هو، وإن قلت بأنانيته فهو هو لا أنت فما أنت القائل، فلا اتحاد البتة لا من طريق المعنى ولا من طريق الصورة. فقول من قال: أنا يحتمل أنه عرف الهو أم لا، فإن عرف الهو فقوله: أنا على الصحو غير جائز، وإن لم يعرف تعين عليه الطلب واستغفر استغفار المذنبين. فما ثم إلا ادعاء الرقية الخالصة الغير المشوبة بحرية أصلا، وفي الحديث: **«ومن غيرته تعالى أن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»**[1]. الفواحش الباطنة: ادعاء أنانية بشطحة من الشطحات الصادرة ممن استحكمه

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: 151]، حديث رقم (4358) [4/ 1696]، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب اللعان، حديث رقم (1499) [2/ 1136]، ورواه غيرهما.

الفناء الصرف، والفواحش الظاهرة: ادعاء فعل مع الله أو وصف أو تصرف أو وجود، فانظر كيف عبر عن ذلك الادعاء التلبيسي بالفواحش وهي مستهجنة حسًا ومعنى. فلا يدعي الأنانية إلا من لا تحقيق عنده والتحف بلحاف التلبيس. وكيف يكون محققًا والنص نص على أن ذلك الأثر الظاهر عنه من غبار تعب الطريق فاحشة، والمحقق هو الذي تتصف روحانيته بالعصمة المطلقة بالعصمة الذاتية، فلا يصدر منها خطأ ولو في رتبة الخيال، ولو كلفها صدور ذلك المعنى لم تستطع لأنها التحفت بدثار العبدية المطلقة الغير المشوبة بنعت من نعوت الحرية، فتكون متردية برداء القيد والتقييد في عين إطلاقها وعدم خطور شيء من ما يشوب عالم الإطلاق.

فاعجب من الوصول إلى رتبة تكون جوهرتك المطلقة عينا وحكما، مقيدة حكما لانسلاخ مقتضاها عنها، وكون غيرها خلفها عنها، فهي هي لا هي هي ولا هي هي في عين هي هي. فهذا من أعجب المسائل الإلهية كيف صح انقلاب عين الإطلاق وانسلاخه عن شأنه الشمولي المحيط بأعالي الوجود وأسفله إلى عين التقييد. وهذا آذن بأن حكم الجوهر الروحاني انقلب عينًا وحكمًا، فعين الروح صار عبدية ليست فيه شائبة حرية.

وهذا يا ولي يعطيك أن ما تقرر عندهم من أن العرض لا يبقى زمانين، نقول نحن: عين الذات لا تبقى زمانين، والذات عبارة عن ماهية الروح المطلقة، إذ لا فرق بين النفس والروح والذات. فروح أعيان الممكنات هي الحق فبه قوام العالم وهو وجوده وعينه، فالعالم من الحق كنسبة الظل للشاخص فلا يفترقان ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩﴾ [الرحمن: 19]. على أن العالم وجوده موهوم كالظل فتم الشبه. فالحق هو روح أعيان الممكنات ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ [العاديات: 11] فآذنت هذه الآية أنه نفسهم وروحهم وعين قوامهم وعنصر مواد حياتهم والذات عبارة عن جوهرين: روحاني وجسماني، فإن عبرنا عن مادة جمع الجمع ألفينا نفس الجوهرين هالك بمقتضى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: 88] أي وجه ذلك الشيء والشيء عندنا يشمل المعدوم بشاهد ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 23-24] فلا مرية أن هذا الشيء المراد فعله لازال إلى الآن لم يقم على ساق الظهور، فهو في

حكم العدم. ومع ذلك أنبأت الآية أنه شيء، فالمعدوم شيء وعليه شيء من شيئيات العدم، والوجود هالك إلا وجهه فيهم ليس بهالك إذ ﴿هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرّعد: 33]. لكن هذا التعبير من مادة جمع الجمع يؤدي إلى الإخلال بالمعنى المراد للحق من الآية. وعليه فنقول: لا يتصور جمع إلا والفرق منطوٍ فيه ولا فرق إلا والجمع منطو فيه، بل ولا جمع الجمع إلا والفرق كامن فيه، وهب أنهم لم يبتكروا هذا التعبير فقد ادخر لنا ولا ينكره أحد، والكلام إذا عرض على الخصم وأقره فلا يعد خلافا، فهم يقرون هذا المعنى.

وعليه فالمحكوم عليه بالهلاك نفسه موجود في لحيظة واحدة، فالعالم كائن بائن زائل، وجوده مثبوت لا يصح عدمه، وغاية ما يلزم عليه: الجمع بين الضدين وهو عندنا ممكن وواقع والدليل معنا، فقد أخبرنا العبد الصالح المشهود له من قبل الحق أنه لا ينطق عن الهوى أنه اجتمع بسيدنا موسى ليلة الإسراء في السماء، وأخبرنا أيضا أنه رآه في قبره يصلي، فلا نقول هاهنا بتعدد الذوات، وإن كان ممكنًا وواقعًا، لكن نقول: كون الشخص علويًا سفليًا في آنٍ واحد، هذا جمع بين الضدين وقد أخبر به الشارع فليس لنا إلا التصديق الكامل، ومن أنكره فعليه بنص من البحرين، وأنه غير ممكن وغير واقع، فما ثَمَّ إلا التحكمات العقلية. وعليه فذلك الشيء الهالك نفسه موجود، وباعتبار هلاكه لم يذق طعمًا للوجود أصلا، فما ظهرت إلا أوصاف أوصافه في رتبة الخيال، وأما نفس ماهيته فلم يشم رائحة الوجود أصلًا. وباعتبار وجهه الظاهر فيه ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [العَاديَات: 11] لم يذق طعمًا للفناء ولا يذوقه ويستحيل عليه ذوقانه، فما ثم إلا الاتصاف بالبقاء الدائم العالم، فلا فناء أصلًا. والكتاب ناطق بهذا مع الكشف فلا يدافع. وكون الحس يحكم بأن الموت يقع وواقع، نقول: ذلك من جملة الأطوار المنصبة على العالم الخيالي ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 14] وذلك من جملة الأطوار كالحركة والسكون والفقد والوجد والغنى والفقر والصحة والمرض، فيا للعجب مِنْ: «لن يرى أحدكم ربه حتى يموت»[1]، كيف لم يذق طعمًا للوجود أصلًا في رتبةٍ أصلا ومع ذلك تنفى عنه الرؤية إلى أن يموت

(1) رواه ابن أبي عاصم في السنة، حديث رقم (430) [1/ 187]، ورواه الدارمي في الرد على الجهمية، حديث رقم (187) [1/ 115].

مع كونه لم يوجد. وقد يقال إن المعنون عنه هاهنا الموت والمعبر عنه في الآية الهلاك وبينهما بون بعيد، فهالكٌ واقع في الأزمنة الثلاثة عينًا وحكمًا بطريق الكشف الصراح، والموت هو المعبر عنه، لأن العالم عالم الحس ووقوعها منه ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: 55] وبذلك الملحظ الآخر لا فناء أصلا وإنما بقاء في بقاء، لأن العالم وصف من أوصاف الحق ويستحيل عليها العدم. وهب أن الأرض جعلت لها كفاتًا وسبرًا وفتكت أزرار الهيكل، فهو مركب من العناصر الأربع والرجوع إلى الأصل أصل، فيرد عنصر الماء إلى عنصره وعنصر التراب إلى أسه ورتبة الهواء إلى أساسه ومادة النار إلى أساسها، والكل ممنطق بمنطقة شيء والحق يقول ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44] فما ثم إلا البقاء الدائم والعدم هو الأمر الاعتباري وهو من قبيل النسب والإضافات. وأما الوجود فهو الوصف الذاتي والعدم وصف عرضي، والعرضي يزول والذاتي يدوم فبان من المسائل المتقدمة أن الأعيان لا وجود لها يثبت ولا عدم لها يثبت فلا تبقى زمنين بمقتضى حرارة عين العين، فإن قلت: أنت أنت فما أنت أنت، وإن قلت: ما أنت أنت فأنت أنت، وإن قلت: أنا هو فما أنت هو وهو هو، فما أنت ولا هو. ويلبل ذوقي على أفنان حظائر القدس فقال:

إذا بـــدا بـــأي عـــين أراه	أراه بـــه لا لايـــراه ســـواه
أشعته بانت فبانت رسومنا	فكنت أنا المرئي بدون إنـاء
إذا قلت ياه قال لي من تناجي	وإن أنا لا أدعو يقول أنـنـسـاه
فلا راحة في الحب ترجى	وإنما نقطع أوصال الذي يتمناه
على كل رمز ذا بساط تحير...	فإن كنت ذا وصل ففك معناه

وعلى هذا فصح قول الصديقة فيما رويناه في الصحيحين: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، وذلك لأن المؤمن الحقي مرآة للمؤمن الخلقي، فالكل يرى نفسه في مرآة نفسه. وفي الحديث: المؤمن مرآة المؤمن، فالمؤمن الخلقي يكافح نفسه ويراها في نفس ماهية مرآة المؤمن الحقي، ولا ضير أن الرائي في المرآة لا يخبر عن نفس المرآة لأنها صقيلة وشعاع البصر لا يثبت عليها بل يزحلق فلا يأتي عن نفس المرآة بخبر أصلا، وإن قال رأيت الصورة المطبوعة

في المرآة صدق وليست إلا صورة نفسه. فمن قال رأيت ربي فما رأى، لأنه إنما رأى المرآة المؤمنة المسامتة للمرآة الحقية. وإن قال: رأيت المرآة فما رآها، لأنه بمجرد مقابلة أشعة بصره للمرآة يكون بصره خارقًا جرم المرآة ناظرًا ما انطبع فيها. وإن قال: رأيت نفسي فما رآها، لأن الصورة المرقومة في المرآة ليس عين الصورة الخارجة. فالخارجية موصوفة بالشيء ضرورة بقائها بزوال المرآة، والمرقومة في المرآة تزول بزوال المرآة فهي اعتبارية. وإن قال: لم أر شيئا فقد رأى، لأنه رأى صورة نفسه مطبوعة في نفس ماهية المرآة فما رأى إلا نفسه وهي المخلوقة على صورة الرحمان كما في الصحيح، فصح قولها: من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، فما أدق نظرها وما أرشق نكتها وما أبدع إشاراتها. ولسنا نقول كما قال الإمام أحمد بن حنبل لما سئل عن قولها قال: قال من هو أصدق منها رأيت ربي وعليه فهي أخطأت، وحاشاها من أن تجهل أن الرؤية وقعت له، وأنها خاصة به على سبيل التجريد، وَمَنِّيه صلى الله عليه به كان يوضع فيها ولا تدري مثل هذا المعنى. والمريد عندنا يعلم هذا علمًا ضروريًا. بل نقول: نحن وقعت لنا. فإن قال القائل: رأيت ربي فما رأى، وإن قال: ما رأيت فقد رأى، وإن قال: رأيت نفس البرزخ فما رآه لاتحاده بالصورة المرقومة فيه، وإن قال: رأيت نفسي فقد يصدق وقد لا فالمحل محل حيرة. على أن الرؤية في بساط التحقيق إنما تقع على البرزخ. وتذكر ما رويناه في الصحيح: «... **وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن**»[1]، فبينهم وبين ربهم رداء الكبرياء وليست إلا البرزخ الجامع، الحقيقة الأحمدية. فعليها وقعت الرؤية وبها وقعت وهي الرائية، بل هي المرئية والرائية، فلا تقع الرؤية إلا عليها. فلعل هذا ملحظ المعتزلة، من وجه، حيث أنكروا الرؤية. فتدبر في هذا المحل فإنه محل عزيز كم تسقط فيه من آراء وفكر وأنظار، فلا تصح الرؤية في بساط التجريد أصلا، وإنما تقع على نفس البرزخ. ومن هاهنا يتجه لك سر مبحث وهو أن بعض العلماء بالله يدعي الرؤية ويقول رأيت ربي، فهل لبس عليه الأمر أو رأى أو لم ير؟ نقول إنه كوفح بنعت من الروح الكلية في بساط القرب

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، حديث رقم (180) [163]، ورواه غيرهما.

الذاتي، بعد أن دكت عوالمه ومراسمه وارتقى عن عالم العناصر والمواد والأخلاط، وعثر على بساط صلصلة الجرس، وبها يستنشق حميا ذلك المحيا، ولما انبسطت أشعتها عليه ظن بحسب التحقيق أنها هي الجمال المطلق وهي عينه، فهويته هوية الحسن المجرد وعينه عينه. وهاهنا اتل قول القرآن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1] الضمير في قوله هو يرجع للضمير المستتر في قل، أي قل أيتها البرزخية الجامعة هو، فهو عين ما استتر في قل، ولما انبسط عليه مقتضيات الهوية جهل فصار مجهولًا عند العالم، غرقت سفن العقول في حواشي بحره الطام قبل التطلع على أمواج عوارفه ومعارفه، فلم تدرك مبدءًا ولا حدًّا ولا مطلعًا ولا ساحلًا ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: 65] فصارت هويته عين هوية الحق وماهيته نفس ماهية الحق، بل صار مجهولا عند نفسه لم يحط بكمالات شؤونها ولا علم منتهى مرمى مرماه، فلعدم انتهائها لم يحط بها، وهذا غاية كمال الكمال، فأحاط بأنه لا يحيط، وأحاط أنه ما أحاط، ولم يحط أنه أحاط، وهذا الاتحاد في نفس الأعداد قال فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: 24] فانظر كيف وحد قوله: دعاكم، مع أنهما داعيان: الله والرسول، وما ذلك إلا لما قلناه من أن العين واحدة.

وهب أن الحكم مختلف فذات الحق ذاته وذاته ذات الحق، فلو نادى وقال يا الله لقال له من تناجي؟ أتناجي نفسك بلفظ التباعد مع أني عينك وهويتي هويتك، فلو قال يا هو لأجابته نفسه، ولو قلت يا محمد لقال الله لبيك، فذاتها ذاته وعينه عينه واسمه اسمه، وفي الحديث: «خيركم من إذا رئي ذكر الله»[1]، وبمجرد ما ننظر إلى عينه نجده في بساط ما رويناه في الصحيح: «من رآني فقد رأى الحق»[2]، فلا يرى إلا الله .فإذا رئي ذكر الله فيه برؤيته فيه، فيستدل بهذا

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (423) [24/ 167] ولفظه: «يا أيها الناس ألا أنبئكم بخياركم، قالوا: بلى قال الذين إذا رؤوا ذكر الله». ورواه أحمد في المسند عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، حديث رقم (27640) [6/ 459]، ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب رؤيا الليل، حديث رقم (6595) [6/ 2568]، ورواه مسلم في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني»، حديث رقم (2267) [4/ 1776]، ورواه غيرهما.

الحديث لمن طلب الدليل على أفضليته على غيره أنه خير الخلائق أجمعين، لأنه ليس ثم من أعيان الممكنات ما يذكر الله فيه بمجرد نظر الرائي إليه إلا من أنزله الله منزلة نفسه وجعله عينه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح: 10] فهو المجلى الأعظم الذي تتجلى فيه الكمالات الإلهية الذاتية ما صيرته نسخة ذاتية. فهو تنزيه في تشبيه، لا تشبيه صرف ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7] ولسنا نقول بالحلول لا لا.

ولا مرية يا ولي أن من نظر إليه بعين التحقيق انبسطت عليه أشعة العظمة إلى أن تتلاشى رسومه وأرجاء هيكله وينخرط في سلك الذوبان، والذوبان نعت من الشطح فلا تحقيق عند صاحبه، إذ الذوبان وإن كان فيه غاية التصاغر بين يدي من أنخت ركائب أشواقك على عتبة خيامه إلى أن تذللت وصرت أنت نقطة الباء من شدة ما تجلى عليك من أشعة العظمة فصرت مبهوتا، لكنه فات صاحبه أكمل مراتب العبودية وهي التحقيق بمراتب لذات العشق في جنب هواتف ساجعات المحبوب، والتهتك بما ترجعه أطيار بساتين الحضرات.

ومن هاهنا يتجه لك سر كون الصحابة رضوان الله عليهم انفضوا إذا رأوا تجارة أو لهوًا وتركوك قائمًا، فما فروا عنه وتفرقوا أيادي سبأ إلا لما تحكم فيهم من فتق رتق ميادين غيوبات العظموتية، فكانوا يكافحونه في بعض الأحيان قرص الشمس، ومن يقوى على مكافحتها جهرة بدون لثام، فكانوا يفرون بأنفسهم حالة كونه قائمًا على ساحل العظمة يغترف من جواهره ما صيره أنموذج الكمالات، ومصباح مفاوز الفتقيات، بحيث يتلاشى رسمه ووسمه في جنب العظمة، ويخرج عن ساحل الجسمانيات إلى بحر فضاء قاموس الغيوبات، وينسلخ عن تقييد إطلاقه إلى إطلاق إطلاقه. وهاهنا كان يقول: إني لست كهيئتكم، وصدق، فكيف يكون وقد سلخه عن مقتضياته الذاتية وألبسه جلابيب العظموتية، فليس كمثله شيء للتناسي بذلك اللهو والشغل بالتجارة عما أصابهم من تلقي الصدمات، وهالهم من مكافحات التلقيات، فنعم ما فعلوا.

وليس في الآية إيماء لذم ما صدر منهم ولا توجه قرع ولا زجر بسبب: انفضوا. بل قوله: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [الجمعة: 11] يقتضي أن ما فعلوه أيضًا

خير، لأنه تناسى شؤون ما لقوا من تجليات العظمة في صورة قرص الشمس. واتل قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ [الكهف: 18] في عالم المحسوسات يقتطفون من أزهار بساتينه ويرجعون على نغمات أطيار أفانينه ما يحسب الراءي أنهم أيقاظ في تلك الرتبة لأن الشغل بما ذكر ربما يقتضي الالتفات إليه ظاهرًا وباطنًا، خصوصًا من لم يعثر على تلك الرتبة، وهم بحسب ما في مكنونات بواطنهم رقود عنه وعن مقتضياته. إنما التلاهي بمحسوساته أعطت الشغل به حذرًا من الذوبان والتلاشي، فينخرط فاعل هذا في بساط عكس ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] فربما لو بقي في المسجد حالة شهوده ما ذكر ربما ذاب لو استحكمت فيه قوة العظموتية فيكون قد ارتبك في النهي ففر ليكون ممتثلا، وهذا مسلك عظيم قد فتحته لك يا ولي في فهم الخطابات الواقعة على أصحابه ﷺ ولم نر أحدًا يتقن هذا العلم.

وقد خصصنا به والحمد لله من جملة علومنا اللدنية التي ما داننا فيها أحد فأحرى يساوينا. ولو فرضنا يا ولي رجلا أعطى قوة كل ملك على حدته وعلى مراتبهم، وأعطى قوة جميع الأولياء ودخل عليه ﷺ لهاله ما يرى منه وتنفتك أزرار هيكل ذاته وتنفصم عرى أرجائه وتنحل تراكيبه ويصير طريحًا ملقى على الأرض مما أصابه من عظم تجليات ذاته، وعدم حمله لحمل أعباء ما قوبل به، وكيف لا وهو نسخة الذات الحاوية لجميع الكمالات.

ولأجل هذا لم يكن جبريل يأتي إليه على صورته الأصلية التي خلق عليها لأنها صورة هائلة، وربما يشم من الإتيان على تلك الكيفية صورة إظهار التعاظم والتفاخر والتعالي، مع أن ذلك البساط لا يقاومه عظيم بعظمته ولا عزيز بعزته ولا قوي بقوته ولا شديد بشدته. بل على عتبة باب خيامك يا محمد تخضع جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى تراب عتبتك تنزل ركائب الخلق أجمعين، وبمرعى فيضك تخنس جميع ليوث الحضرة يا قائد الركب بين القائمين. وتذكر قوله في الحديث: «**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[1]، فالرؤية حقيقة إنما تقع على رداء الكبرياء لا على الذات

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

البحت لأنها حضرة طمس فلا ظهور فيها للرائي، بل الراءي معدوم، لأجل هذا لا تصح رؤية الذات وإنما تقع الرؤية على رداء الكبرياء.

إذًا لا مرمى إلا رداء الكبرياء لا غير، وأما الطمع في غيرها فهو من أمحل المحال. كذلك الرداء في نفسه لا بد له من شعاع يحجب الباصر عن رؤية الذات البحت لأنه على لون إنائه، والمعنى محيطة بالحرف، فالحرف مظروف في المعنى والمعنى ظرف للحرف. وهاهنا قال أويس القرني العالم بالله: ما رأيتموه إلا كالسيف في غمده، يشير إلى أن الرداء نفسها لا بد لها من تحجب لتقع الرؤية على ذلك الحجاب الثاني وهو عين المحجوب والمحجوب عين الحاجب. وهاهنا بلبل ذوقي فقال:

فتنت بشمس الحسن لما تسترت   بشمس لها منها عليها حجاب
وما ثم من يقوى لقرص شعاعها   كفاحا على أن ليس ثم نقاب
وقد جرحت باللحظ قلبي وما درت   بأني قتيل بالغرام مصاب

وهاهنا مسألة عظيمة وهي أن من اجتمع به في عالم اليقظة وتمتع به كما تمتعت به الصحابة، يقول: رأيت الحق، لأنه المظهر الأكمل الدال على الله بالله، والدال على نفسه بنفسه، والدال على نفسه بالله، والدال على الله بنفسه مع قوله: "من رآني فقد رأى الحق"، فهاهي مجردة نصبها على رياح الاشتهار، وإن كانت رؤية دون رؤية إلا أنها يطلق عليها رؤية.

وقد أخذ الوقت يا ولي من طرفي يومًا، فاختطفتني أيدي الرياح ودللتني في مفاوز الهواء إلى أن انسلخت عن جزئي بجزئي، وعن كلي بكلي، وعن كل كلي بكل كلي، وألبست جلابيب ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ﴾ [النُّور: 40] وألقيت في ساحل بحر الحياة أترقب ما يعنون به صدى الصحاري إلى أن ظهرت سفن النجاة فحملتني من ظهر إلى بطن ومن نجد إلى غور:

طورًا يماني إذا لاقيت ذا يمن   وإن لاقيت معديًا فعدنان[1]

فألقتني في جزيرة الغرائب، وخريدة العجائب، فإذا أنا ببساتين المناهل

(1) هذا البيت للشاعر العصر الأموي عمران بن حطان الخارجي.

تتنفس بأريج نوافح مسكياتها، وتتأرج من عرف طيب نوافح طيباتها، وأغصان تتمايل تمايل النشوان، وفروع تتهافت تهافت الولهان، ونسيم التواصل يقرع كل أذن، وخبر الوصال يسمع من كل بون، وأطيار المواجيد على أفنان البساتين، وتلبي بألحان نغمة الياسمين، فهمت مما فهمت، وولهت لما بهت، ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: 2] ففقدت ذاتي وماهيتي، فصرت أطوف على ذاتي وسط لجج البحر الطام ثم بذاتي مع أني ذاتي أنوح على هويتي، مفقود موجود في عين الوجدان والفقدان فوجدها، بعد فقدت الذات الكلية فصرت أسأل ظلي عنها إذ هو عينها، فهي ظاهرة فيه باطنة عني في وقلت: نفس ظهورها في:

أسائل ظلي عنها إذ هو عينها   وأسألها عني لأني نورها

وانقلب الوقت صفر الكفين، فلا أنا ولا هو وأنا أنا ثم بعد فقدت الذاتين، وأين هو جهل وأين أنا سقط الأين وارتفع البين من البين، فلا خبر ولا خبر، وهو هو، العين والأثر مع أني أنا وهو هو فقلت: يا رسول الله آونة فقدت ذاتي وطورًا فقدت ذاتك وزمنًا فقدتهما، فأين أنا مني، وأين أنت مني، وأين أنا منك، وأين أنت منك، وأين أنا من الوجود المطلق، وأين أنت من الوجود المطلق وأيننا من الكل. فإذا بباز أشهب يبلبل ويقول:

غريب أنيس عرش بدرين لابس   لضدان من شمسين لونان حلتي

وبالنداء من خلف الأستار:

فلست أنا إذ لم أكن غير أنني   أدور على ذاتي وذاتي دثارها

فإذا بي صرت أسمع خشخشة أبي بكر فحصل لي أنس بذلك الصوت مما وجدت من ألم الغربة والوحشة وتجلي عظمة الحسن وترصده لي بكل مرمى أرومه فقلت:

ترصد لي في كل مرمى أرومه   فمن ذا يغثني ما أحيلى افتتان

على كل حال ذا بساط تحير   فإن كنت ذا وصل ففك معماه

فإذا ببرزخ خيالي يتلو ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ﴾ [طه: 39] فصرنا في ساحل ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: 86] فوقع التعداد في نفس انعدام الأفراد ووجود الاتحاد، وقائل يقول: إن كنتني فأنا أنا لا أنت أنت طويت في نفس نشرك، وإن كنتك فأنت أنت لا أنا انبسطت أشعتي عليك إلى أن كنتك، فأنت أنت مستويًا على عرش وجودي فخلفتني، وكنت أنا في نفس عدمك أنت عنك ونفس وجودي فيك، وكنت أنا في نفس انطوائي فيك فلما توفيتني عن نفس مقتضيات وجودي المقيد، والاستغراق في عين وجود المطلق، وأفنيتني عني كنت أنت. وإنما لم يقل كنت بضم التاء لأنه الموافق لمقتضى ظاهر اللفظ إلّا أنه من قبل أيضا كان عينه، إلا أنه لم يحصل له التفات في بساط السين فصار والهًا عن نفسه في نفس وجودها، ويطلب العين وهي عينه، ويطلب من غيره وليس إلا نفسه ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [الإسراء: 15] والوصول ليس عبارة إلا عن الوصول إلى هويتها والاستهلاك في عين ماهيتها، فليس التلذذ إلا بذلك. بيد أنك إن شئت قلت إنها حق فقل وبه التلذذ الذي هو عينك وبك التلذذ لأنك لباس حسنه ولون عينه، وإن شئت قلت لها خلق فقل وليس هناك فرد من أفراد الموجودات إلا وقد اجتمعت فيه الأضداد، وقول الحكماء وغيرهم أن الجمع بين الضدين محال محض تحكم عقلي لا غير، وإلا فهو ممكن بل واقع وذلك أن الحق يقول ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60] ولا شك أن النائم يرى متحركًا، فهو ميت حي في زمن واحد ولحيظة واحدة، وهل هذا إلا جمع بين ضدين، فهو واقع وأخبر به النص.

فنحن في حالة تعلق طيور أرواحنا بأغصان بساتين البرزخ، ذلك التعلق هو المعبر عنه بالنوم، لأن النوم حالة برزخية بين الحياة والموت الأكبر، فذلك البرزخ تنشر ألويته على قرص شمس الروح، لا ينسدل عليه بالكلية، فلا يزال التعلق بين الروح والهيكل، وتبقى النسبة الحاصلة بينهما في حالة المفارقة، ولا تنفصم عرى حبل الاتصال بين بساط العاشقية والمعشوقية. بخلاف الموت الأكبر فينسدل ثوب الحائلة بينهما، فتنقطع العلقة فيصير الهيكل ملقى على الثرى كما ترى.

فانظر كيف أطلق الحق اسم التوفي على النائم مع أنه يرى حيا في نفس استغراقه في النوم، المطلق عليه في تلك الحالة أنه متوفى عنه. وهل هذا يا ولي

إلا جمع بين الضدين. وكذلك قوله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر»، فقف يا ولي على أنه ميت ومع ذلك متصف بالحياة في نفس اتصافه بالموت، وقد ظهر أثر الحياة في قوله: يمشي على وجه الأرض، وهل الميت يتصور منه صدور المشي، فما هذا إلا جمع بين الضدين. فانظر بعقلك يا ولي في هذه المسألة ولا تكن أسير تقليد أحد. فالحقائق الإلهية لا تؤخذ إلا من مظانها بطريق السلوك لا بطريق الظن والتخمين. وأهل هذا الزمان ألفوا التقاعد عن درك إدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه ورضوا بذلك ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: 24].

فما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدهر بالدهر الذي كنت تعرف

اختلط يا ولي الصوفي مع غيره، والعالم بغيره، والعامي بغيره ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15]. فما بقي شيء من آثار الطريق يستروح به: كل يوم ترذلون. فما نرى إلا من يتصف بالكبر بغير حق والحقد والحسد والعجب والخيلاء والشحناء، وعدم حسن العهد، وعدم الرضى بأفعال الحق، وجعل بين كل واحد من صفوف الصلاة ما يسع آلافًا من الشياطين. والتنافس ليس إلا بالعرضيات، وأما الفخر بالذاتيات فطارت به عنقاء مغرب. وما ثم إلا من يدحض الحق ويمحقه ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: 8] فإلى الله المشتكى من أقوام ضلوا وأضلوا وزاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة: 19] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: 4]. ويرحم الله لبيدا إذ يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خَلْفٍ كجلد الأجرب

فانظر يا ولي هل ما قدمنا إلا جمع بين الضدين. وكذلك نستدل بما في الصحيح من أنه ﷺ اجتمع بالكليم صلوات الله وسلامه عليه وعلى إخوته ليلة الإسراء في السماء، وتردد إليه مع كونه أخبر ﷺ أنه رآه في قبره يصلي. فكون الإنسان علويًا سفليًا في آن واحد ليس هذا إلا جمع بين الضدين فأخبر به الشارع، فها هو وجد في محلين في وقت واحد وهو أيضا جمع بين الضدين.

وفي هذا الحديث رد لما برهن عليه المتكلمون من أنه لا تتعلق نفس واحدة بأكثر من بدن واحد فيتجه عليه ما قدمته يدينا مع ما بلغنا عن أهل الله من تعدد أشخاصهم في زمان واحد وأمكنة متعددة، فتتعلق النفس بأكثر من بدن واحد على التحقيق عندنا. وعليه فقولهم: الجمع بين الضدين محال، عندي تحكم عقلي مع أن الكشف يعطي هذا المعنى، فابحث عن حقائق هويتك يا ولي كي تظفر بالكبريت الأحمر، وادخل حانات الذكر كي تنفعل لك العجائب وتصير قطب الغرائب.

أقنوم في قالب طلسم دري: اعلم يا ولي وفقك الله للاطلاع على مخدرات! مكنونات الأشياء أن هذه العوالم كانت موجودة في علم الله حالة الكنزية، لأن القدم كما يجب لذاته كذلك يجب لصفاته، ومنها العلم فهو قديم لا آخرية لآخريته كما لا أول لأوليته، بل آخريته عين أوليته وهي عين الآخرية. فكما وجدت الأشياء في بساط النشر والتفصيل بعد أن تقدم لها الطي والكمون بأعيانها وأشخاصها، كذلك كانت منقوشة في حضرة العلم القديم لأنها مقتضيات الأسماء والصفات، والأسماء والصفات كانت كامنة كمالاتها فيها بعنوان الطي، وذلك لأن حضرة العلم عامة التعلق، فتتعلق بالواجب والجائز والمستحيل، ونحن من القسمين الأخيرين، وباعتبار انبساط أحكام شعشعانيات الأحدية، نحن بحكمها في حكم الاستحالة في نفس وجودنا. وهذا لا يدركه إلا العلماء بالله الذين يجيزون وقوع الجمع بين الضدين. ولو لم يتعلق العلم بنا في نفس تفرده بالقدم وإنما تعلق بنا بعد، للزم عليه حتما القول بالتجزئة في العلم وأن لها تعلقات بحسب التدريج على مقتضى المرتبة، فكلما أعطت المرتبة تعلقًا وقع ذلك التعلق على شأن المرتبة المقتضية لذلك، وقد اقتضت التعلق بنفس ذات الحق فتعلقت لما حكمت به المرتبة من الوجود الذاتي. ولا نقول يا ولي كما قال بعض النظار أنه لو تعلقت حضرة العلم بنا في نفس كهوف القدم للزم من ذلك مسايرتنا للحق في حال أزليته وهو مستحيل، وما أدى إليه وهو القول بالتعلق مثله. بل نقول: كلام رق ولا حشمة عليه. والقول الحر هاهنا وعليه حشمة هو أن تنصت له.

اعلم أن المدبر لهذه الدوائر الكونية من حيث هي هو حضرات الأسماء والصفات، فمهما اقتضى ركن من أركان دوائر الكون شيئًا حكمت به الرتبة إلا وتبرزه مقتضيات الأسماء والصفات، فهي بحكم ما أعطته قوابل الممكنات. ولا

زالت القوابل لم تقتض شيئًا، والحضرات على حضرة كنزيتها لا مقتضيات ولا شؤون، وحين تقتضي أعيان الممكنات إبراز شيء إلا ويظهر مقتضاه لئلا يلزم عليه التعطيل وعدم الإحاطة بمكنونات ما تقتضيه قوابل عالم الإمكان، وهو خلف ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: 19] فيتضح لك من هاهنا أن العالم العلوي ماء لسطور إناء كرة العالم السفلي، ولون الماء لون إنائه، فالماء لا لون له إلا بحكم الإناء، فالإناء تحكم على الماء مع إطلاقه وتقييدها. فلون الإناء الذي هو سطور كرة العالم السفلي يحكم بتقييده على الماء المطلق عن النسب والإضافات. فالماء في نفسه لا يقتضي إلا ما اقتضته قوابل الممكنات المعبر عنها بالإناء. فالإناء بتقييده يحكم على الماء مع إطلاقه. وعليه فلون الماء لون الإناء. على أن لك هاهنا مسألة عظيمة بقانون آخر وهي أن لا مدبر لهذه الأثرات الكيانية من حيث هو إلا الذات الحقانية لا غير، وأما الأسماء والصفات فهي نسب وإضافات تكثرت بحسب الأسماء واتحدت بالمسمى، وإلا فهي عين الذات لا زائدة عليها، وإلا لزم عليه أن الذات لا يتم كمالها إلا بها، وهذا قول بافتقار الذات إلى الصفات وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

فالذات عين الصفات وليست الصفات زائدة على الذات لئلا يلزم عليه وجود كثرة هناك، وإن قال به بعض ولو قلنا به أيضا لكانت الألوهية معلومة بحضرة الأسماء والصفات. ثم لا يخلو إما أن تكون هي عين الإله، فالشيء لا يكون علة لنفسه، أو لا تكون عينه. فالله سبحانه لا يكون معلولًا لعلة ليست عين ذاته من أن العلة متقدمة على المعلول بالرتبة فيلزم عليه افتقار المعلول للعلة وهو محال. وتقرر أن الشيء المعلول لا تكون له علتان، وهذه علل كثيرة لا يكون الإله إلهًا إلا بها، فبطل أن تكون الأسماء والصفات أعيانا زائدة على الذات تعالى وتقدس. وعليه فالذات عين الصفات، ولا فاعل إلا الذات. فمن حيث اقتضاؤها انكشاف المعلومات فهي عالمة، ومن حيث تخصيص عين من أعيان الممكنات بشيء دون غيره مريدة وهلم جرا، فلا فاعل إلا الذات البحت. وبهذا يستروح لما قالته المعتزلة من نفيهم صفات المعاني، فإنهم لم ينفوها لا لا، وإنما علموا أن الذات هي الفاعلة على الحقيقة لئلا يلزم عليه افتقار الذات في ظهور كمالاتها إلى حضرات الأسماء والصفات، وما نفوا صفات المعاني خلافًا

لأهل الرسوم أرباب التقييد والتقليد. ثم إن حضرات الأسماء والصفات قديمة بقدم الذات، ومقتضياتها كذلك، إذ المقتضيات عين صدف معمى الاسم، والاسم قديم فكذلك مقتضياته. وهذه يا ولي أمور كشفية لا تدافع. ومن قال بخلاف هذا يلزمه القول بالتجزئة في التعلق للعلم والتقديم والتأخير، وما زاد صاحب هذا القول على من يقول: إن الله فقير إلا برشاقة العبارة وإلا فهو هو. اللهم اعصم وسلم وأمتنا على الإيمان. فالعالم قديم من حيث تعلق العلم به، ولأجل هذا المعنى كانت حضرات الأسماء والصفات تابعة لقوابل أعيان الممكنات لا تبرز إلا مقتضياتها، ولو أبرزت خلاف ما تقتضيه أو ما لم تطقه لكان ظلمًا وجورًا ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49] واتل قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ [الروم: 41] فما ظهر الفساد إلا بما كسبت أيدي الناس، وما أذاقهم من البأس والنكال والنصب والوصب إلا بعض الذي عملوا، فما يعذبهم إلا بهم لا بغيرهم، وذاك ما اقتضته طبيعتهم وقابليتهم به ظهرت الموجودات. فبنا ظهر الفساد لا به ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: 28] وما عذبنا إلا بنا لا بشيء آخر، يعذبهم بذنوبهم، تفهم. ومن هاهنا ينزاح عنك السحاب وتفتح لك الأبواب وتسمع خطاب ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: 31] فالحق تعالى بمقتضيات علمه يبسط أشعتها على قوابل أناسي الموجودات للاختيار، أي اختيار ما تطلبه خفايا أمكنتهم من القرب والإبعاد ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] وهذا الاختبار وقع قبل القبل، أعني قبل وجود أعيان الممكنات في بسطة الكون العدمي، هناك امتحن قوابلهم، وهنالك قال: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: 31]. فلا تبرز مقتضيات الحضرات الإلهية إلا ما تعطيه رتب الموجودات، كل وما يطلب حظه من اسم أو صفة أو هما. فالعلم هاهنا ارتبط مع هذا المعلوم وصار المعلوم متبوعًا للعلم والعلم تابعًا للمعلوم، فلا ينفعل العلم إلا بما يطلبه المعلوم بسبب ذلك الارتباط الواقع بين العلم والمعلوم. أي ولنختبرنكم حتى نعلم منكم ما تنفعل به حضرات العلم، ومقتضى القاعدة المسلوكة أن المعلوم تابع للعلم لكن هذه المسألة العويصة التي لا يفتض أبكارها كشف ولا غيره حكمت بأن العلم تابع للمعلوم، فسلم ولا تنازع.

ولا يزال العالم بالله ينتقل من طور إلى نجد إلى عسفان إلى لبنان، وكل ذلك مراد للحق من أن يسلك به منهج الوقوع في الحيرة. فآونة يريد جعل الحق عين العالم فيقول به وطورًا لا يقدر، وحينًا يقول بمسألة وحينا لا يقول بها، وكل ذلك من شدة اطلاعه على حضرات الكمالات الإلهية فيكون بحكمها، وكل من رأينا يتلقفه الوقت ولا يسكن في حضرة من الحضرات، فذلك من الذين لا يقولون بالرأي بل على جناح الطيران في سرادقات العزة، والأحكام تحكم عليه. وكل من رأيناه ساكنًا في رتبة من الرتب فذلك من أرباب التقييد، لم يرد به المشي على هذه الحنيفية السمحة. فدونك يا ولي والتلوين وإياك والتمكين كي تتخلق بأخلاق الله الكمالية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحمٰن: 29] فالتمكين يدل على عدم السير والتلوين على عظم السير ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ۝﴾ [طـٰه: 49-50] الضمير في خلقه على الشيء، أي أعطى خلقه كل شيء، فجميع كمالات الحق تخلق بها النوع الإنساني لأجل ذلك سخرت له الأشياء ولم يسخر لها، وترى حيوانات كثيرة لا تصلح للملك ولا يقدر قدرها ومع ذلك ذللت لك أيها الإنسان، وما ذلك إلا لأنك أعطيت الخلق على الصورة الرحمانية. وتذكر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ [الملك: 15] مع أنها أكبر خلقا منك وكذلك السماء ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: 57] ومع ذلك سخرت لهم لأنهم خلقوا على صورة الرحمان، فالكل لهم عبيد، وما عبدوا إلا الصورة المنتسخ منها، ولهذا قال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13]. فما منا أحد إلا وهو آدم في نفسه، علم الأسماء كلها، لأجل هذا سخر له ما في السماوات وما في الأرض، وهذا المسخر من الحق. فاقطع نظرك عن المرآة واشخص ببصرك إلى ما انطبع فيها تبصر ما لا تكيفه العقول ولا تقبله الآراء الظلمانية وتمجه، وتنظر ياولي ما يكل بصرك عن التعبير عنه والتفوه به، وإنما يسعك قول نبيك: «**لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1].

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (486) [1/ 352]، ورواه غيره.

سانحة: كدت يا ولي أن أنقل أحجار بحر العظمة من سماء الثريا إلى أرض الثرى، وكدت أن ألتقط ببناني درر الغواص فوجدت ذلك متمنعًا على ملحفتي وقلت ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: 91] فإذا بالنداء: إذا ذكر القدر فأمسكوا، فنحن قتلى أسارى مما نرى، زمنى لا نقدر على شيء، فهو الفاعل المتحكم المدبر القادر القائم في كل معنى وصورة وجسم وعرض وجوهر ووقت وغيره في حكم العدم، فكيف تنهاني يارب وتقول ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ [ص: 26] وأنا لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا ولا موتًا ولا حياتًا ولا نشورًا، فأنت المتحكم والقائم على كل نفس بما كسبت، والفاعل، ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: 26]، ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: 78]، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]، فأنا وجودي ظل زائل لا يوجد إلا بوجود الشمس، ذو ثلاث شعب: نسبة التقييد الصرفة، ونسبة الإطلاق المجرد، ونسبة آخذة بحجزة النسبتين، لا ظليل يستظل به لعدم ملكه لنفسه شيئا بل هو مقهور تحت حيطة ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: 18]، ولا يغني من اللهب. هب أني رزقت لهب قوة غريزية تحوطني من الوقع في التهلكة، فلا تغني من الله شيئا. وهاهنا قال في الحديث: «فحج آدم موسى»[1]، أي غلبه بالحجة. لأن الكليم قال له: أنت أبونا أخرجتنا من الجنة بمعصيتك، فقال له سيدنا آدم: أتلومني على أمر قدره الله قبل أن أخلق، قال القاضي الأعدل ﷺ: «فحج آدم موسى»[1]. فيؤخذ من هاهنا مسألة وهي أن الاحتجاج بالقدر يجوز لمن كان من أهل الكشف والإيقان والعيان، لأنه لا أرب له في الإقدام على ما أبدى من المعصية صورة وإنما تحتم عليه فعلها ففعلها جبرًا وحتمًا عليه بدون شهوة. وبه يظهر الفرق بين معصية المخصوص وغيره، المخصوص يقدم عليها قسرًا عليه وإلا كان عاصيا بعدم الإقدام، وذلك الإقدام منه مجرد امتثال فيثاب عليه، فهي معصيةٌ صورةً مخلوطة بطاعات، منها امتثال أمر الإقدام، ومنها ندمه على ارتكاب ذلك الفعل وفي الحديث: «الندم توبة»، ومنها إقراره على نفسه باللوم والتقريع في جبره

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب قوله: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: 41]، حديث رقم (4459) [4/ 1764]، ورواه مسلم في صحيحه، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم (2652) [4/ 2042]، ورواه غيرهما.

وهي طاعة ثالثة، ومنها توبته فينخرط في سلك ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: 102] وعسى من الحق للتحقيق لا للشك لأنه لا مكره له. وغير المخصوص يقدم على ذلك لا بكشف، وله شهوة، وربما لا يندم، وربما يصر، وربما يعتقد أنها قربة.

وعليه فسيدنا آدم لم يعص حقيقة، إنما رأى أن انبساط مقتضيات الواحدية التي هي مناط الكثرة لا بد من ظهورها لأنها المرادة للحق من: فأحببت وهي المعنية بقوله ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والظلم وضع الشيء في غير محله. وأي مناسبة يا ولي بين إبراز هذه الرقوم المخلوقة على صورة الرحمان من صور العدم لعالم المحن والأسقام والابتلاء، فهو وضع للشيء في غير محله لأن الصور الإلهية لا تستأهل ما ذكر، ومع ذلك تسبب في إبرازها لعالم المحن فهو ظلم منه، وهذا الظلم مراد للحق من: فأحببت أن أعرف، ولا سبيل لإظهار مقتضيات المحبية إلا بقرب سيدنا آدم من الشجرة، وكان الحق قد نهاه عنها لما اقتضته الغيرة المعشوقية وأن لا تظهر شؤون الربوبية بل تبقى مطلسمة عليها وقد سبقت إرادته أن لا بد من الظهور، وحضرة المعشوقية اقتضت عدم الظهور، فلا بد من التقصي عن هذه الحيرة، أعني بالنسبة إلينا، فظهر مقتضى إرادة الظهور في سيدنا آدم الجسماني، وبقيت الغيرة الإلهية على ما اقتضته حضرتها بحسب الرتبة فلم يظهر الحق لغيره. بل خلق الله آدم على صورته لئلا يكون ظاهرًا إلا منه إليه فيه به، وذلك مقتضى غيرة المعشوقية. وأما سيدنا آدم الجسماني فما فعل ما فعل إلا بسبقية إرادة الظهور في عنوان أقنوم: فأحببت أن أعرف، ففيه ظهرت مقتضياتها على حسب ترتيب حكمة الحكيم، وما كان فيما فعل إلا مجبورًا.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72] صيغة فعول ترد بمعنى مفعول، فالمعنى: مظلوما بحسب ما اقتضته طبيعته، لأن حضرة العلم تنسج على منوال سطور ما تقتضيه حضرة المعلومات في نفسها، فكان الإنسان ظالمًا لنفسه، وبتلك الوجهة قوبل من حضرة العلم، وعليه يتخرج ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البَقَـرَة: 35] وهل هذه المقتضيات، يا ولي، إلا كمال كمال الكمال وانظر نتيجتها هل كانت مرادة للحق من أول افتتاح دوائر الوجود أم لا تفهم وإياك والغلط فإن الناقد بصير وياللعجب كيف يوصف المعصوم بالمعصية، وما تصدر

إلا من التحكمات الشيطانية، وهل لها تحكم على قوى النبوة؟ لا لا لا ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: 42] وأين هو الشيطان من حضرة النبوة وفي الحديث: «المرء على دين خليله»[1]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فالحق هو الصاحب في السفر والخليفة في المال والأهل والولد، والمرء على دين خليله من الالتحاف بالكمالات، والتلبس بأنواع التنزهات: «خلق الله آدم على صورته»[2]، وكل العالم الحق خليله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: 4]، والمصطفى يقول: «المرء على دين خليله»[1]، فما ثم إلا الكمال المطلق في سائر الموجودات، ما ثم نقص أصلا، وإلا كذبت هذا الخبر أو لم تطلع على معميات مراده بالكشف والإيقان. فأين وقوع المعصية في الوجود والمرء على دين خليله، وأين النقص في حضرات الوجود والمرء على دين خليله، وأين الخلل في دوائر الكائنات والمرء على دين خليله. ولأجل هذا العلم الإلهي جاء في القرآن ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: 53] وهذا مقتضى: المرء على دين خليله، هو التنزه عن النقائص والتمنطق بالكمالات. ولما رأى الحق هذا المعنى غفر للكل ليلتحفوا بسر: «المرء على دين خليله». وهذه الآية تصديق هذا الحديث، فافهم وسلم تسلم.

ولما رأى ﷺ أن مقتضيات الكمالات الإلهية منها الجلاليات فلا بد من العتاب والقرع والزجر والإقماع، قال فيما رويناه في الصحيح: «الدين النصيحة قالوا لمن قال لله»[3] ..ألخ، والنصيحة لله يا ولي هي: إذا وقعت في شبكة استحقاق العذاب، وأمر بك لإنفاذ الوعيد، ورأيت مخائل العذاب وبوارق سيوف القطيعة قد لمعت فوق هامتك، وزبانية نعوت ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: 14]، وهتف بك هاتف الجلاليات وجذبك من وسط ما أنت عليه من

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة، حديث رقم (7319) [4/ 188]، ورواه أحمد في المسند، حديث رقم (7319) [4/ 188]، ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

(3) رواه البخاري في صحيحه، باب قول النبي ﷺ: «الدين النصيحة». [1/ 30]، ورواه مسلم في صحيحه، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم (55) [1/ 74]، ورواه غيرهما.

الوقوع في حيص بيص فقل: يا الله إنك أمرتنا بالإحسان لمن أساء إلينا، اللهم إنا فقراؤك وقد وقفنا بباب جودك، وأنخنا مطايا الذل عندك فلا تردنا على أعقابنا. اللهم أنت أمرت بالعفو والصفح والستر والحلم فعاملني بمقتضيات هذه الحضرات وأنت قلت ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 40] وقلت ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134] وشيء تحبه فعاملني به يا رب ولا تعاملني بما أنا له أهل وعاملني بما أنت له أهل، يا الله.

اللهم إنك قلت صدر ديباجة كتابك: الرحمن الرحيم، فعاملني بمقتضاهما. فهذا يا ولي من صور النصيحة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: 6] لأنها ذاتية والذاتي لا يزول بخلاف العرضي فيزول ويتحول، ولم يقل كتب ربكم على نفسه العقاب وإنما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54]. ومن هذا الأقنوم ياولي تتجه لك علوم كثيرة لا تنضبط ولا تنحصر، فمنها علم كيفية التنزلات الإلهية على سطح المقادير بنعت علم الكيفية، وما هي، ومن أين نزلت، ولأي شيء نزلت، وعلى أي رتبة نزلت، ومعرفة كيفية شؤونها.

ومنها: علم سر القدر وهو علم مطلسم اطلع عليه أنموذج النوع الإنساني العبدي الصالح.

ومنها: علم أن كل مجتهد مصيب، لا بمعنى مصطلح أهل الأصول، بل كل من أدته قواه إلى مسألة كيف ما كانت، وكيف ما كان، فلها وجه إلى الصحة عملا بحديث: «إن الله عند لسان كل قائل»[1]، ومن تحقق بمعميات هذا الحديث أيقن بما ذكرناه، وبوصية الفاروق الذي كان الحق ينطق على لسانه أخرجها، وهذا علم ما أشد احتياج الناس إليه خصوصا من يدعي التحقيق. وقد عاتبني ﷺ يومًا على شدة مفاوضتي لكلام أهل الرسوم، وفهمت من ذلك أنه إن كان ولا بد من الانتقاد فلا بد من التماس وجهة تنتمي إلى الصحة مع إنكار ما أنكرته الشريعة بلسانها لا بلسانك. وعلامة من ادعى هذا المقام أن يقف مع ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: 48] فلا تشتم من أعرض عن موعظته ونأى عن وصيته بجنبه، وأعاره آذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا وأعينًا عميًا، فمن تكلم بلسان

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

الشارع لا يتكلم إلا كالوالدة الحنينة الشفيقة مع ولدها الألد الخصام، فهو في ازدياد النفار والخصومات وهي تقفو إثره لعله يرجع أو ينكف، إن نسيته لا ينساك، وإن غفلت عنه ذكرك، وإن جهلته علمك، وإن جهلت عليه ستير، وإن أعرضت دنا منك، وإن تقربت منه شبرًا تقرب منك ذراعًا، وإن تقربت ذراعا تقرب منك باعًا، وإن أتيته تمشي أتاك هرولة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: 17] فهذه علامة من ينكر بلسان الشرع لا بحمية الجاهلية من التعصب والإباية وإظهار أبهة استكبار التعليم وتذكر قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] فلا تصح الدعوة إلى الله إلا من هيكل راسي قد ساس الأمور وخبرها واطلع على مكنوناتها إلى أن صار حكيما يصوغ الأشياء مع الضبط والإتقان من خلل ولا اعوجاج. وأما الموعظة الحسنة فهي أن يعظ بلسان الشارع، وقد قيل لسيد أهل الأرض والسماء ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] لأن النوع الإنساني مجبول على الكبرياء والعظمة، وهي مما أتت من حضرة المنتسخ منه لأنه هو نسخة فلا يألف إلا ميادين التخلق والربية: علو محض لا ضد له، فلولا مغناطيس الجذبات الرحمانية في صورة ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 107] في نفس الفظاظة والجفوة والتمرد بأنواع الجفاء الصوري، فلا تكترث به ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: 215] فاعف عنهم على ما كان منهم من الجفاء والإباية من الانقياد للحق وعدم الطاعة الإسلامية التي هي مناط الأحكام، واستغفر لهم: الغفر في الأصل هو الستر، أي اطلب مني أن أستر عنهم سطوات أبهة الرهبوتية كي ينقادوا لما جئت به، فهذا معنى واستغفر لهم، وشاورهم في الأمر وذلك مقتضى الرجوع إلى الحق في سائر الشيئيات.

﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]، أي الخصلة التي هي أحسن وهي التمنطق بحلية العفو والصفح والرضى عنهم على ما كان منهم لأن شهود المساوئ في الوجود عارض، والعارض لا يقاوم الذاتي الذي هو شهود الكمال.

ومنها: علم شهود الوحدة المطلقة مع إقامة قسطاس الشرع المطاع.

ومنها: علم أن السجود لما يظهر من حضرات التعرفات هو الأولى وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[1].

ومنها: علم أن شهود الجمال ذاتي في ذات الحق عينًا وحكمًا، وأما الجلال فهو حكمي في ذات الحق لا عيني، والذاتي يدوم لأنه ذاتي عيني، والعرضي لا يدوم بل ينقطع، ومن هاهنا بان صحة انتهاء عذاب النار، وأنه ينقطع لأن انفعالاته صادرة من نفس الحضرات الجلاليات وهي عرضية بالنسبة للجماليات.

ومنها: علم أن الكمال ذاتي في الوجود لا عرضي، وشهود المساوئ في الوجود عرضي لا ذاتي لأن عنصر سائر المواد الكلية والجزئية البسيطة والمركبة هي الحقيقة الكلية الثنوية، فما ثم إلا فروع شجرة كثرتها وجداول بحر أنوارها وفيوضاتها فما ثم إلا الكمال، وانظر لفحمةٍ أصلها سواد لكن لما توجهت نحوها أشعة حرارة النار صيرت سواد الفحم في حيز الإهمال ولم يبق له رسم ولا طلل، وهاهنا قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: 20] وقد سرنا فنظرنا كيفية بدء الخلق فوجدنا معشوقية الكليات للجزئيات اقتضت أن لا بون ولا انفصال بين المعشوقيات والعاشقيات فصارت هذه الموجودات متصلة بذلك الجمال المطلق فهي بلونه إذ هي نعته وشأنه، فما ثم إلا ذاتها الكلية سارية ومحيطة بكل معنى وصورة لظهورها فيها، وجميع أعيان الموجودات بالنسبة إلى الذات الكلية كالمشخصات وهي عينها، كأمواج البحر مع البحر هي في نفس تكثرها عين البحر، لكن هذا الأمر لا يدركه إلا أهل الكشف الصحيح الصريح، ومورده في القرآن قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: 115] لا مرية أن أول ما يصدر من المرئي وجهه في عالم المحسوسات، وأول ما بدا من كهوف الأزليات التعين الأول بصورة الحقيقة الأحمدية، فهي أول ما بدا من حضرة نقوش العلم، فهي وجه الله بهذا الاعتبار، وأخبر أيضا أنك أينما توليت فثم مصورة وقائمة ومحيطة بكل حس ومعنى

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم (482) [1/ 350]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الرغبة في الدعاء والسجود، حديث رقم (1928) [5/ 254]، ورواه غيرهما.

وصورة وشكل، فأين الكثافة وأين الخلل الواقع في الوجود، وأين ما يظهر لمن هو أكمه ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 78]، ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا﴾ [النحل: 30] مع أنه مقتضى القبضتين ومع ذلك لم يغلب على نظرهم إلا سر ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 115] ظاهرٌ وإن تستر بالعناصر. وهاهنا بلبل ذوقي فقال:

تبدت بتلوين به احتجبت وقد ... تجمعت الأضداد فيها لسترتي

... ...

تبدت على كأس فكان للطفه ... بها هو إياها وإياه حلتي

لأنه عين العين والنقطة التي ... أديرت به من قوس وتر هويتي

لقد ظهرت في الكل عينا بكلها ... فما ثم إلا الكل في كل وجهتي

وتأمل قولنا: ظهرت عينا لا حكما، بل نفس أعيان الموجودات عينها، وفي الحديث: «إني لأرى في كل صورة».

وقلت:

سبحان من أخفى المعاني بالمباني ... تسترا لشقائق النعمان

تحكي الأنامل من نقوش خضابها ... روضا تضاحك من جنان جنان

عضت على العناب ظنا أنه ... وجنات تيجان العقيق الفان

إن رمت ناسوتا وجدت مهامه ... اللاهوت تنبو عن سنا الإمكان

تنبئك عن أحدية التنزيه في ... صبح التكاثر مستوى الرحمن

سر بدا في اللوح أعجم حرفه ... معناه دق عن الأديب الدان

ومنها: علم أن ما يظهر من أثر انفعالات التصريفات في الكون من حضرة بعض من يريد الظهور، هب أنه مصيب من وجه فهو مخطئ من وجوه لأنه وجد فيمن يتصرف أولًا وحصل أن الالتفات مما هو عليه من الذوبان تحت مصارع بحر قلزم القدم، لأنه من ألقت عليه الحشمة جلبابها بين يدي الحق لا يقدر على الالتفات فأحرى على التصريف، وعدم التفاته ليس من الضعف كما يقول به بعض الأفاضل ممن تقدمنا لا لا بل له القوة من الجهتين، إنما هو اختبار، من

عندياته عدم التصرف وعدم إبداء عواراته وعوارات المظاهر، وفي الحديث: «إن الله ستير يحب الستيرين»[1] وكل من اطلع على سر القدر لا يمكنه إنكار شيء من ما صدر في رتبة عالم الإمكان، وكل من أبدى غير هذا نستدل عليه وأنه لا زال لم تتحكم فيه سرادقات العظموتية، وأما لو تحكمت فيه لما كان إلا مقهورًا تحت قهوانيات ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: 56] والمراد بالدابة كل ما يدب على الأرض لا خصوص ذوات الأرجل الأربع، فهو آخذ بناصيتها مجبورة تحت موارد قهريات إرادته، لا حركة لها ولا سكون، يقودها لما قضت به سانحات توجهاته، وتنزه عن الفحشاء والمنكر. ففرق يا ولي بين مذهبنا ومذهب الجبرية لأنهم يقولون قولهم أعني العبد كالميت بين يدي غاسله يحركه ما شاء وهو مطاوع، ويريدون بهذا المذهب نسبة الظلم للحق تعالى وتقدس، لأن العبد إذا لم يفعل شيئًا ثم قوبل بأنواع الإقماعات أيحسن هذا من الحكيم؟ فمرادهم نسبة الحق للخطأ والسفه وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين. ونحن نقول ما ذكر على سبيل الكشف والإيقان فبيننا بعد المشرقين، بيد أن لهم وجها إلى الصحة وهو أصل المقالة: وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا بل هو عبد مملوك لا يقدر على شيء، وأخطئوا من وجوه، وفي الحديث: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك»[2]، كأنه يشير إلى أن العبد ليس له إلا ما للآلة فلا تتحرك ولا يصدر منها انفعال إلا بمدبر، ومع ذلك إن أقيمت عليها موازين العدل فلا ينسب الحق في ذلك النصب إلى السفه ولا إلى عدم السياسة، بل عدل في جميع شؤونه لأنه لا منازع له في حكم من الأحكام، ولا مشارك له في ملكه، فهو الرب الحكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا راد لحكمه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 23]. فإن قلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: 28] قلت ما ثم إلا أفعاله فسلم ولا

---

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم (13337) [7/ 97]، وأورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى أبي داود وابن المنذر وغيرهما. [سورة النور، آية 24 [6/ 217]].

(2) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يستحب للمرء إذا صلى على جنازة. . ، حديث رقم (3073) [7/ 342]، ورواه أحمد في المسند، حديث رقم (4318) [1/ 452]، ورواه غيرهما.

تنازع. وهب أنه لم يأمر فأين هاجس إرادتي الذي هجس على سطح ذاتي؟ من أين مصدره ومن أين مشاره؟ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: 30]. ولسنا يا ولي ننكر أصل التصريف لا لا بل هو مقرور لأهله أيضا فقد صدر من الأكابر، إلا أن صاحبه في أول بديهياته يخير، فإن خير فالأولى له عدم التصريف بل يسكن تحت مجاري ﴿ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب: 3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: 278]. وهذا يا ولي بساط لا يركض فيه إلا من اطلع على تعلق القدرة بالمقدور حالة المباشرة، فهناك يعرف مراد الله من خلقه ما هم عليه فيسجد ويسكن. وهاهنا قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: 14] أي زكته حضرات الأسماء الإلهية حيث تأدب مع مقتضياتها لما برزت وانفعلت في سائر ذرات الموجودات بحسب السبق الإرادي الأقدس الأقوم. وهذه التزكية قد أنيط بها الفلاح، فمدة كونه لم يسجد لما يبرز من حضرات التدبير فلا يستحق هذه التزكية، ومن لم يزكى فما أفلح، وزادك الحق وضوحًا فقال: ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ أي ذكر على سبيل المعاينة ما هو عليه اسم الرب من التربية، فهو المربي لسائر الموجودات في سائر الحيثيات، سواء كان باطلًا أو وهمًا أو خيالًا مما ربيهم به إلا من ناصيتهم بيده، فهذا الذاكر في هذه الرتبة هو الذي أفلح.

ونتيجة هذا الاطلاع قوله: ﴿فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: 15] المراد لازمها من السجود لما يظهر به اسم الرب من تشكلات أطواره. ومن لا يصلي هذه الصلاة فهو منازع للحق في شؤون تربيته. وهذا يا ولي ينبغي له إعطاء المراتب حقها كي لا يضل في ليله ولا نجم عنده يهتدي به.

فهذا المشهد لا ينبغي للبيب الماهر أن يشهد الحق في نفسه عند هذه المعارك كي ينخرط في سلك الاعتراضات وتوجيه ما سنح له من عندياته من التوجهات الإرادية له، ويقول: لست أنا المتكلم وناصيتي بيد من فلا هاجس ولا وارد إلا به ومنه، فهذا من ﴿هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: 97-98] فتمسك بسر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: 201] وإياك والمكث في هذا المشهد هنيئة كي تفوتك لذة هذا المشهد وهي ملاحظة تربية الحق عباده على ما أراد في سابق ديوانة الأزل قبل القبل ولكل مقام مقال، ولكل مقام رجال.

وهذا يا ولي من أعظم الجهالات، كيف يكون الحق اختبر قوابلهم في عالم الطي وجبلهم على ما اقتضته تربيته، وعلى نهجها يمشون وحول حماها يدندنون، وأنت تريد بإرادتك الفانية المتلاشية القاصرة المقيدة أن تردهم عما هم عليه بإرادتك أنت، هذا غاية الجفاء مع الحضرة الإلهية.

ويا ما أبدع رسل الله عليهم السلام، يقول سيدنا عيسى ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ فليس لهم سواك، التجئوا إلا بفيض مناهل حماك، وليس ثم سواك يرجا ولا يقصد، على أنك إن عذبتهم فهم عبادك لا منازع ولا راد لحكمك. فكلامه عليه من ربه الصلاة والسلام ارتكب فيه التوجيه ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ﴾ أي وإن تسترهم على ما هم عليه من الطغيان والضلال والجفاء فإنك أنت الظاهر فيهم ولا مرية أنك إن ظهرت فيهم سترت وجودهم بوجودك فكنت أنت الساتر لهم، فهو قوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ﴾ [المائدة: 118]. ومثل هذه الإغضاءات لا يقوى عليها إلا العزيز، والعزيز هو الذي بلغ الشرف والرفعة والسؤدد وحمية الحسن وعزة الرتبة إلى أن لا يعاقب أحدا على ما صدر منه من المثلات، الحكيم الذي يضع بقوانينه البديعة الأشياء في محالها، ولا يفعل خلاف ما تقتضيه الرتبة الحاكمة، وكيف وهو العزيز الظاهر فيهم ويتوجه عليهم بالعقوبات؟ لا لا لأنه حكيم ونفسه لا تستحق إلا ما اتصفت به من الحلم والعفو والصفح والحنانة والشفقة، وكيف وعبيده هم أعين الحق الذي يبصر بهم نفسه في بساط تفصيل التفصيل، فهم المظهرون كمالاته التي كانت كامنة في عنوان الإجمال فانبسطت أشعتها في محال التفصيل بسبب التكثرات في مقام الواحدية.

ولما وجل قلبه ﷺ مما أصابه من محن بلاياهم، وتجرع غصصهم بسبب إعراضهم عن إجابته الخاصة، وإلا فهم قد لبوا التلبية العامة المرة بعد المرة، وأجابوا طوعًا وكرهًا، إلا أن العالم عالم الحس فلا بد من إظهار أبهة عالم الملك ببروز شؤون الإسلام الظاهر، توجه عليه ﷺ أمر ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48] بها تمتحن وتبتلى وتصاب، ولا جرم كان يصير بسبب تعليم الحق له سياسات تدبير أمر المملكة. فمن هاهنا انتشأت أشعة رحمانيته ﷺ حتى انبسط جاهه، ووصفه الحق بما وصف به نفسه فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: 156] وفي حقه قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ

إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] وهاهنا سر إلهي وهو أن رحمانية الجناب الحقاني قيدها في نفس إطلاقها فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 156] ورحمانية الجناب المحمدي لا زالت على بكرتها من الاتصاف بالإطلاق فلم تقيد. ونكتة هذا السر هو أن مالك الملك ومربي المملكة على وفق نظره هو رب العالمين، ولا مرية أنه اتصف باليدين والأصبعين: «**إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمان**»[1]، فإذا انبسطت أشعة حضرات الأسماء الجلالية وأرادت التحكم، يقول العبد الصالح: رب إنك كتبت على نفسك الرحمة ولم تكتب عليها الغضب، فعاملنا بالذاتيات ولا تعاملنا بالعرضيات فأنت أجل وأعظم. فرحمانية العبد هاهنا كانت أوسع. وهاهنا قال في الحديث: «**الدين النصيحة ثلاثًا، قالوا لمن يا رسول الله قال لله**»[2]. ألخ. فهذا من النصيحة لله. ومن هذا يتجه لك مبحث عظيم وهو أن الجناب الأقدس مع علوه ورفعته وحيطة تحكماته، أباح لخواص محبيه التحكم فيه بما شاءوا: فيقول ويقولون ويحكم ويحكمون، وما ثم إلا مشيئته وإرادته.

إنما أبرز هذه السانحات الخلقية ليسن هذا المسلك، وأن المصطفى المجتبى المقرب قد يتحكم في الله وهو حكم سائغ لهؤلاء لا يتعداهم إلى غيرهم. وقد روينا في الصحيح أن أنس بن النضر كسرت أخته الربيع ثنية، فحكم ﷺ بأن تكسر ثنيتها، وهو حكم إلهي في الحقيقة ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ﴾ [المائدة: 45] فما كان يجب إلا تنجيز ما سجل عليه القاضي الأعدل، فإذا بأخيها أنس بن النضر قال: والله لا تكسر ثنيتها، فأقسم في الحقيقة على الله لأنه المشرع، وأما هو ﷺ فهو المنفذ وظهرت الشرائع على يديه، فقذف الحق في قلوبهم الصفح والعفو موافقة لما صدر منه من التيه والانبساط على الله، ولم

---

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب تصريف الله تعالى القلوب. . . ، حديث رقم (2654) [4/ 2045]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يستحب للمرء أن يسأل الله جلّ وعلا صرف قلبه إلى طاعته، حديث رقم (902) [3/ 184]، ورواه غيرهما.

(2) هذا الحديث سبق تخريجه.

يبلغنا أنه أنكر عليه الشارع لأن حضرته كانت بلون الأسماء الإلهية فأقرها بإقرار الله له فصارت سنة: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ»[1]. وفي الصحيح أيضًا: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[2]، أي إذا لم تستح بأن رفع الحشمة بينه وبينك وأجلسك على بساط المحبوبية والاصطفاء فاصنع ما شئت معه فقد غلقت الأبواب، وتقطعت الأسباب، وقالت هيت لك، ولم يبق بينك وبينه إلا أنت وأنت ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [التوبة: 91]، وهناك تذوق طعم التخلق بالاسم المؤمن، فيؤمن عقلك من التشبث بأذيال كعبة قصاد التقييد، وروحك من التطلع على سرادقات العظمة الرهبوتية ونفسك من الالتفات لغيرة مقامع سطوات حرارة معاني الربية وقلبك من التصدع بين يدي مليك مقتدر، وتلبس حلل ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: 15] في عين ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: 51]، وسرك من الروغان فوق الأفق الأعلى، فأنت المؤمن من ما غامرك من جلابيب المؤمن، وهناك تتجرد جوهرة مرآة المؤمن الخلقي مع هوية المؤمن الحقي فتنطبع الصورة الرحمانية في المرآة المؤمنة العبدية، والمتطلع على جواهر المرآة لا يأتي بخبر عن نفس جرم المرآة وإنما يتشخص بصره من أول مكافحة لما انطبع فيها من ما قابلها، وهاهنا المؤمن العبدي مرآة المؤمن الربي. فما ثم إلا الحق يخاطب نفسه لا يسأل عما يفعل، فإياك والغلط والله غفور رحيم. وفي القرآن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: 82] أي الذين آمنوا إني عينهم أذهبت طيبة جوهرهم وألبستهم حلل بمحو الله، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم، الظلم في لسان العرب وضع الشيء في غير محله، ومن ألبس تصديقه بأنه عين الرتبة الإطلاقية فقد وضع الشيء في غير محله وإيمانهم بما ذكر يظهر في: مرآة المؤمن مرآة المؤمن. فمن تحقق بهذا الفيض الغريب أيقن أنه لبس إيمانه بعدل وهو ما تقتضيه غيرة العاشقية والمعشوقية من المأمنة في بساط

(1) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب العلم، حديث رقم (329) [1/ 174]، ورواه ابن ماجه في سننه، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين، حديث رقم (42) [1/ 15]، ورواه غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، حديث الغار، حديث رقم (3296) [3/ 1284]، ورواه ابن حبان في الصحيح، باب الحياء، حديث رقم (607) [2/ 371]، ورواه غيرهما.

التقابل، أعني عدم الفرقة، والعالم معشوق الحضرة، والغزل يقتضي عدم الانفصال، فهم في بساط الاتحاد دائما. فهذا هو الذي لبس إيمانه بعدل ونقيضه لبسها بظلم، فليس له هذا الأمن وإن كان له أمن رتبي يقيه من نزول العذاب عليه بسبب التحافه بالإيمان العام ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: 143] أي الذين نسوا حبل الوداد الذي عاهدوا الحق عليه في عالم الطي، هؤلاء لا يضيع الله إيمانهم، وكيف يضيع إيمانهم وهي مشتقة من اسمه تعالى المؤمن، فلا يرأف إلا بنفسه ولا يرحم إلا هي، وفي الحديث: «لا يثقل مع اسم الله شيء»[1]، ومن أسمائه وبه سمى عبده المطلق في أي رتبة كان لذلك قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج: 65]. وأما الذين ليسوا بناس أي لم ينسوا العهد القديم، ومن لم يقم به وصف لم يجز أن يشتق لهم منه اسم، وهؤلاء لم ينسوا فلا يجوز أن يقال فيهم ناس تفهم، فلهم الأمن من ما يهولهم من سطوات الحقانيات في مقام الفزع الأكبر يوم ﴿بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [القيامة: 26-29]. وهم مهتدون حيث انخرطوا في سلك الوصول لحي كعبة التحقيق، أعني الصراط المستقيم، وهو انمحاق الوجود المتوهم الصوري الخيالي باستواء سلطنة الوجود المطلق الحقي ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: 18]. وفي الحديث: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل[2]

وإذا أدمغه وصلنا لبساط ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ [يس: 77] هاهنا ينبغي الوقوف. وأما قوله: ﴿زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18] فهو خبر لمبتدأ محذوف على حد ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ﴾ [هود: 56] كذلك ينبغي الوقوف هنا لمسيس الحاجة إليه، والدابة في اللسان العربي كل ما يدب على الأرض سواء كان من ذوات الأرجل الأربع أو غيرها، وآخذ: إما مبتدأ وحذف خبره أو خبر ومبتدأه حذف.

---

(1) أورده علي القاري في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، [10/ 218]، وأورده المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، [7/ 331]، وأورده غيرهما.

(2) رواه البخاري في صحيحه، باب أيام الجاهلية، حديث رقم (3628)، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2256) [4/ 1768]، ورواه غيرهما.

ولما أقسم في قضية الربيع قال ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»، فصار التحكم على الله يا ولي من سنن الأصفياء الهداة الهادين وأقر بإقرار الله حيث أغضوا الجفون على قذاها وطووا الثوب على غره. ولا نقول كما يقول المترسمة أنه أقسم قبل أن يعلم تسجيل الحكم منه ﷺ، بل قاله بعد علمه بالحكم ومع ذلك أقسم ليسن هذه السنة الغراء: «**أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[1]، فمن اقتدى بهذا الصحابي الجليل في هذا المشهد فقد اهتدى وما زاغ عن الحق الأبلج وما طغى وما ضل لأن متبوعه نجم ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16]. فأرباب هذا المقام يحصل لهم الهدي به لأنهم على بينة من ربهم، بخلاف من لم يشق هذا الغبار فربما يريد المشي على نهجه فيتخلف خلف الجياد يوم الرهان.

وجرى في السباق جري سكيت خلفته الجياد يوم الرهان

وفي الحديث «**من تألى أي أقسم على الله أكذبه الله**»[2]، فمن لم يستنشق عرف هذا الأريج ولم تهب عليه نوافح مسكه فدونه وعش غرامه ووكر مرماه وإياه والشواب فإن هناك أفاعي ترتع ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: 71] والمراد بالإيمان هنا إيمان الإيمان لا إيمان العيان القائل: لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا، والإيمان يعتبر في تفسيره في القرآن السوابق واللواحق والرتبة والمقام والحال.

وقد بلغنا أن الكليم صلوات الله وسلامه عليه قال: يا رب دلني على ولي من أوليائك، فقال له: اذهب إلى الفلاة الفلانية فإنك تجده، فلما ذهب سلم عليه فلم يرد عليه السلام، فلما تناجى مع الحق قال: يا رب أنت أعلم بما صنع وليك الفلاني، فقال له الحق: منذ سبعة أيام لم يكلمني لأنه طلب مني الشفاعة في جميع أفراد العالم عصاة وغيرهم فلم أنجز رغبته فلم يكلمني. فانظر بعقلك النوراني يا ولي في هذه القصة تستفد. وفي القرآن ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: 34]

---

(1) أورده أبو عبد الرحمٰن السلمي في آداب الصحبة [7/ 317]، وأورده علي القاري في مرقاة المفاتيح [1/ 91]، وأورده غيرهما.

(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير، حديث رقم (7898) [8/ 229]، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال، حديث رقم (7899) [3/ 224].

فأسندت المشيئة إليهم، بما يشاءون هم، من عندياتهم، تكوينه أو ذهابه أو صلاحه أو فساده كائن لهم عند ربهم هم. وقد سمعت أن بني إسرائيل قحطوا أزمنة فاستسقوا فلم يجب طلبتهم، وقال لهم: لا أجيب تلبيتكم إلا إن جاء عبدي برح، فلما ذهبوا ظفر به الكليم عليه السلام فوجده مسجى بثوب، عليه أثر الغربة والوحشة والانفراد، فذهب به ورفع رأسه إلى السماء وقال: أنفذت خزائنك؟ ألم تجد ما تعطينا؟ ائن أعطيتنا لم تجد مما تعطي آخرين؟ وإذا لم ترزقنا فلأي شيء خلقتنا؟ ونحى نحو هذا النحو، فلم يلبث أن سقوا، وقد كان أراد الكليم أن يكفه فقال له الحق: مه فإن كلامه يضحكني. ولكل مقام مقال، ولكل مقام رجال. فهو المتحكم في بساط الإطلاق الغيبي الخاص به، وهم المتحكمون في بساط التقييد الحكمي، وهاهنا قلت: سوابق الهمم تخرق أسوار الأقدار، وقد قال قبلنا بعض النظار: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار، وكل حزب بما لديهم فرحون. وكم أقمنا في هذا المقام العزيز الوجود، وكم أوصلنا أصحابنا إليه فمكثوا فيه، وللخوف رجال، وللبسط رجال، وللقبض رجال، وللرجاء رجال، وللعظمة رجال، وللأدب رجال، وللسكون رجال بحيث لا يحركون ألسنتهم، ولو بالدعاء ظنًا منهم أنهم ينسبون إليه عدم اطلاعه على مكنونات ضمائرهم، فنعم ما فعلوا وفاتهم خير كبير، وللدعاء رجال، وللرضى رجال، وللغضب رجال، وللسخط رجال، وللعار رجال. وأفعل خلقًا ما اجتمعت بأحد فيه وهو أني أصير أنقص بعض المظاهر بعض الأحيان قصد أن يغار الحق له ويجذبه بمغناطيس الجذبات إليه ولا يتركه في حضيض السفليات تعييرًا له، فيقول الحق: تُعَيِّر على صنعتي وتعابها؟ فتختطفه أوج العنايات وهو خلق غريب ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: 148] وإنما لكل امرئ ما نوى، وقد يغلب علي في بعض الأوقات أني أصير أتنقصه قصد أن يعافيه الله ويبتليني لقوله في الحديث: «لا تعير أخاك فيعافيه الله ويبتليك»[1]، فأعيره بهذا القصد وأنا أتحمل عنه تلك النكبات والغصص، وربما هو لا يحسن الأدب مع الرتبة إذا نزلت به، ونحن نعرف الأدب مع الله حالة تنزلات النزلات،

(1) قال العجلوني في كشف الخفاء إنه من كلام بعضهم، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال بلفظ: «لا تعيّر أخاك واحمد الله الذي عافاك».

فيكون مصائب قوم عند قوم فوائد.

وكل هذا من باب ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10] وباب توصلنا إلى أن ننال البر في قوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]، ومما يحب القرب والمثوبات، فصار هذا من جنس الإيثار في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: 9] أي ويؤثرون أنفسهم الجزئية، وهي غير باعتبار وعين باعتبار، على أنفسهم الكلية. وهذا تمدح من الحق لهم على هذه المكارم ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9] ونحن أحوج إلى الطاعات من غيرنا التي هي برزخ رضوان الله ومع ذلك نؤثر بها.

وقد أعقبنا الفلاح في قوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9] أي من فعل وقاية برزخية تحجزه بينه وبين شح نفسه، وليست الوقاية إلا بالاطلاع على أن هذه أعيان الممكنات بعضها متصل ببعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وهي ذات واحدة كجوهرة البحر، وهذه الوحدات لا تقدح في وحدتها كأمواج البحر فهي عين وغير.

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ﴾ [البقرة: 148] هاهنا قف، ومن هاهنا ينقدح لك أن أهل الله يرتكبون المعاصي إيثارًا لغيرهم برضى الله بارتكابهم الطاعات، وهم يعرفون كيفية التنزل والأدب مع الرتبة لأنهم ممتثلون في نفس عصيانهم، فما قصدوا انتهاك الحرمة لا لا، وإنما نفذوا ما به أمروا في صورة سبقية القضاء عليهم فما ثم إلا الامتثال. وهذا من أعجب العجب كيف يكون الجاني عاصيًا وهو في نفس الأمر طائعًا. وبهذا تعلم سر ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121] فهي معصية صورية قد اختلطت بطاعات لا تنضبط: منها أنه إنما سارع لارتكاب ما نهي عنه لأنه رأى أن لا بد له من ارتكاب ما ذكر فيسارع لمغفرة ربه لأنها لا تنال إلا بارتكاب المعصية، وإلا عطلت جل حضرات الأسماء والصفات، لذلك قال: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ [طه: 122] فليس مراد الحق من إيقاعه فيما ذكر إلا لينفذ مقتضيات حضراته وشؤون كمالاته، ولا تظهر مقتضياتها إلا بوقوعه فيما ذكر وإلا تعطلت جل تلك الحضرات: تواب على من؟ رحيم بمن؟ غفار لمن؟ ستير على من؟ رؤوف بمن؟ منان على من؟ فسيدنا آدم كان في

عين الامتثال والقرب عند أكله من الشجرة، لأنه ما سعى إليها وما تسارع لأكلها إلا لتظهر مقتضيات الحضرات الإلهية والشؤون الأسمائية.

ولما تظاهر بما ذكر قصد أن ينفذ ما به أمر ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف: 82] وقصد أن تظهر كمالات النعوت الوسعية أطلق عليه اسم المعصية، وليس مرادة لا عند الله ولا عنده، فلم يرد الحق إطلاق اسم العصيان عليه أنه عاص بالفعل ولا بالقوة، ولا أراد هو بارتكابه فيما ذكر أنه أتى بحوبة يحتاج منها إلى توبة لا لا، وإنما القهر الإلهي فوق عباده اقتضى هذا التسطير فسطر، فليست مقصودة لذاتها ولا ملاحظة بل قطع النظر عنها لا من رب العالم العلوي ولا خليفة العالم السفلي، والمراد والمتوجه عليه سانحات الإرادة: هو بسط أشعة مقتضيات الأسماء وتدبيراتها في مراتب الموجودات لا غير.

ولما كان هذا أمر لا بد له من فذلكة، وليست إلا وقوعه في مقتضى الاسم المضل، ناسب أن يطلق عليه اسم من جنس ما تقتضيه رتبة الاسم المنفعل عنه الشؤون في تلك الرتبة وهو العاصي. فسبحانه من إله قاهر فوق عباده ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: 23] فما ثم إلا شؤونه كيفما تلونت وتشكلت وتعددت وتظاهرت، ما ثم إلا المنفرد بالإيجاد والانفعال والبسط والقبض. وهل يقال في أفعاله الصادرة عن تدبيراته أنها فاضلة ومفضولة وليس الفاعل إلا الذات البحث لا غير، لا يقال، فاسم المعصية تأثير اسمه المضل، واسم الطاعة بأثرات انفعالات تدبيرات اسمه الهادي، والصفة عين الموصوف، فما ثم إلا الكمال التام، ومن يفوه بشيء هنا يشنأ ويطرد ويخرج من دائرة شهود الكمال في أفعال مولاه إلى دائرة شهود النقص الظاهر له في مرآة نظره وفكره وعلمه الأبتر. فما ثم تحير ولا مفاضلة ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عمران: 26]، ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل: 30] المراد بالذين اتقوا هاهنا من جعلوا بينهم وبين الله وقاية وذلك بأن اطلعوا على سبب نشر سرادقات الرحمات الإلهية في البساط الكوني، وليس إلا المشي على السنن القويم: بهذا تنتشر أشعة الرحمة، واطلعوا أيضًا على سر انفعالات أسداف الظلام في الكون فألفوا أنه انتهاك الحرم واتخاذ الهوى إلهًا باتباع الشهوات وعدم المشي على الطريقة المثلى، فبهذا يشتد غضب الحق ويفسد الكون بفساد أهله ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ

﴿وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم: 41] وهناك ينبسط غضب الحق عليهم فربما تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾ [النور: 63] فصارت حقيقة التقوى ليست امتثال الأوامر واجتناب النواهي كما يقول أهل الرسوم لا، بل جعلك بين انبعاثات مقتضيات الأسماء الجلالية عليك للانتقام بسبب انتهاكك حرم الشارع وقاية تحجزك من نزول العذاب عليك، وليست إلا باطلاعك على مصدر الرحمة والنقمة. فالتقوى هي الاطلاع على مصدر الإنعام والانتقام، وأما الامتثال والاجتناب فهو نتيجة هذا الاطلاع، هؤلاء هم من قيل لهم ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡۚ قَالُواْ خَيۡرٗاۗ﴾ [النحل: 30]. فإذا أحطت بهذا من أوله أيقنت أن جزئيات العوالم كلها مطيعة للحق في نفس عصيانها، بل ما ثم معصية إلا وهي مقرونة بطاعات. وعليه فأهل الله يمتثلون في فعلهم المعصية عن كشف وعيان، وأما غيرهم فكذلك مطيع إلا أنه خلف الحجاب، الأقدار تجذبه ولا خبرة له بشيء. فهؤلاء العصاة كلهم منخرطون في سلك قوله تعالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التوبة: 102] وعسى من الحق للتحقيق إلا في بعض المواطن سيما وقد سبقت إرادة الحق أنه أراد أن يتوب على عباده، وإرادته لا تتخلف ولا تتبدل ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ ولا أثر لإرادتنا نحن ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: 27] مع إرادته هو أن يتوب علينا، فما ثم عاص إلا وقد أراد أن يتوب عليه وإذا تاب عليهم تابوا لقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ [التوبة: 118] ومهما تابوا أحبهم الله لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ وفي تعبيره هاهنا بصيغة تواب للمبالغة إشارة عظيمة إلى أنه يحب تصاعد زفرات التوابين المرة بعد المرة والحين بعد الحين، ولا مرية أن التوبة لا تكثر صعداتها ثائرة من قلوب الجانين الخطائين إلا إن كثرت ذنوبهم، فما كثرت التوبة إلا من كثير الذنوب. وكأن الحق هاهنا ما سلط المحبة إلا على من يكثر المعصية لأنها سبيل إلى التوبة، فهذا سر إيثاره التعبير بصيغة تواب بصيغة المبالغة دون: يحب التائبين، وهي نكتة سرية. وكما يحب العصاة يحب المتطهرين من الذنب إما رأسا كدائرة العصمة أو آونة وطورًا كدائرة الحفظ من الولاية، وذاك قوله: ﴿وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] ولا خفاء أن من أحبه الله لا يعذبه بذنب، وفي القرآن ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم

بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: 18] أخذ من صراحتها أن من أحبه الله لا يعذبه بذنب. فدونك ومقامات التوبة والإكثار منها كي يحبك الله، وخصوصًا عند إرادتك النوم، فجميع الجنايات الصادرة منك طلعة النهار تمحوها توبتك. وربما يمسك الله نفسك ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60] فتكون قد ندبتها لمحبة الله لك. وهذه نصيحة الخليل الشفيق عليك كما أوصانا ﷺ بأن نحب لأخينا ما نحب لأنفسنا. فهذه غنيمة باردة نبهتك عليها، وعند الصباح يحمد القوم السرى. وهاهنا مشهد دقيق وهو أن العالم بالله إذا وصل لبساط بسط شعشعانية شمس الحقيقة عليه إلى أن استهلكته عنه وصار لا يشهد الفاعل حقيقة إلا الله وأما هو فهو مسلوب الحركات لا هاجس له ولا إرادة ولا نية ظاهرة وباطنة في بساط ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ [الانفطار: 10-12] أنكم ﴿مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 12] شيئًا.

فما: نافية، فهذا علم الملائكة فهل هذا يطالب بالتوبة أم لا؟ وهل إذا تاب تقبل منه أو يصير حكمه حكم من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها؟ وهذا شمس المعنى قد طلعت من مغرب صفاتها الظاهرة فيه، فهذا من أدق المسائل. والذي أقول به أنه إن استهلكته عن نفسه وأفنته عنه بحيث صار لا يلاحظ إلا الوجود المطلق وغاب عن نسبة ثالثة آخذة بحجزة الإمكان والوجوب وهي إحدى الشعب الثلاثة المركبة في الظل، وباعتبار طرف الإمكان انصبت عليها التكاليف: فهذا إن ذهل عن هذه البقية فلا يصح صدور التوبة منه لأنها تقع على سطح تتعلق به ولا متعلق هاهنا تتعلق به، وإن توفي عنه وصار يثبت البقية بلا مرية أنها لا تنقطع. وهب أنها نفيت فهي مثبوتة، لكن سلطان الحال يذهل عن الملاحظات فهذا يتوب بهذا الاعتبار وتقبل منه في نفس استغراقه في ذلك المشهد. وصاحب المقام الأول بمنزلة من تاب بعد طلوع الشمس من مغربها ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: 85] فهذا مختاري. وهاهنا مشهد غريب أيضًا في مقامات الفناء، كثيرا أقيم فيه قبل فتحي فأحرى بعد فتحي، وهو كوني تصدر مني المعصية ولا خبرة لي أنها تقرب من الله أو تبعد لأني أنظر إلى القضاء سبق عليّ بها من حيث إنها أفعال لا معاصي، فأفعلها من حيث التقدير، مع فنائي عن كونها تقرب أو تبعد، معصية أو طاعة. فلسان الحنيفية السمحة

تحكم عليهم بأنهم عصاة وتوجب التوبة عليهم، وأما عند الله فربما يكون حكمهم حكم من ارتبك في فعل: لا يدري أهو معصية أو طاعة. ولم ألق أحدًا من أهل هذا المقام مع علمي بأنهم موجودون.

واعلم يا أخي أن لأهل الله مقامات لا تتعداهم إلى غيرهم. وقد يغلب عليَّ في بعض الأحيان أني أترك بعض الطاعات قصدًا وذلك كالصدقة، وذلك لما رويناه في الصحيح: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»[1]، فمن كان هذا ملحظه وسمع الحديث الآخر: «**أول ما تقع الصدقة في يد الرحمان**»[2]، وعلم أن اليد العليا خير من اليد السفلى فماذا يفعل؟ فترتعد فرائصي وأصير أقدم رجلا وأؤخر أخرى ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝﴾ [الفجر: 14] فأتركها وقد خرجت صدقتي من عالم الكون، وأنا في هذه الحالة، ووصلت لبساط الحق وقبلها وأنا ما تصدقت، وفي القرآن ﴿يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الأنفال: 70] فيجازيني عليها ويدنيني من حضرته بسبب هذه المشاهدة والمراد من الصدقة ونحوها هو وقاية شح النفس، فمن وقاها بسبب إرادتها إخراجها ثم منعها مثل هذا المانع الهائل فقد وقت شح نفسها، فيسجل الحق عليها بالفلاح ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9] ومن هاهنا تعلم، يا ولي، ما نبهتك عليه من كون أفعالك تخرق أطباق السماوات وأنت لا زالت أفعالك المتقرب بها إلى الله لم تبرز، وكل هذا من وسع الدوائر الإلهية التدبيرية.

وقد تحصل للحق عليَّ في بعض الأوقات غيرة فيريد منّي أن لا أتكلم مع غيره فيصمتني، وربما تكلم معي ولا أرد السلام، وأنا في هذه الحالة مجبور لا أطيق فوق ما أفرغ عليَّ من ما أنا فيه، فلا أكون آثما عند الله لأني مشغول به لا بغيره، والعتابات والزواجر الإلهية إنما ترد على من اشتغل بغيره عنه لا به عنه

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، حديث رقم (1361) [2/ 518]، ورواه مسلم في صحيحه، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، حديث رقم (1033) [2/ 717].

(2) رواه أحمد في المسند، حديث رقم (9413) [2/ 418]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الخبر الدال على أن هذه الأخبار أطلقت بألفاظ التمثيل والتشبيه، حديث رقم (270) [1/ 504]، ورواه غيرهما.

فافهم، وهذا من جزئيات قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16] ولا استطاعة لنا في هذا المشهد غير هذه. فالمحقق من كان مع الله بالله في سائر شؤونه من الحركات والسكنات والإقبال والإدبار والمنع والعطاء لا مع الله بنفسه، أو من يكون مع نفسه بالله، فإذا قام قام بالله، وإذا جلس جلس بالله، وإذا خرج خرج بالله، وإذا نام نام بالله، وإذا أعطى بالله، وإذا منع بالله.

ومن هاهنا ينقدح لك وجه التماس المعاذر للمسلمين، فربما من رأيته يمتنع من الصدقة فلعله هذا وجه منعه من إخراجها، أو رأيته لا يرد السلام إن سلمت عليه فلعله في أنس مع الله لا يلتفت إليك ولا إلى غيرك. والمقامات لا تنضبط ولا تنحصر، ومن رام حصرها في جنس معين أو شخص معين فقد حجر واسعًا.

ولله عبيدًا أجلسهم في منبت سوء وهم في أقصى حضيرة القدس، مثلا إن رأيت رجلا يبيع الحشيش فلعله من قوم أجلسوا على بساط التوبة كل من أكلها عندهم لا يعود لأكلها وتنسى له من قوته المخيلة ببركة ذلك البائع، ولو رأيت رجلا يزني بامرأة فلعل ذلك المظهر ليس بامرأة، إنما تشكلت بشكل المرأة سعادة لأقوام وشقاوة لآخرين، ولعل ذلك مركب أراد الغرق فاستغاث أهل المركب بأهل النوبة وكان منهم فسد ثلمتها في تلك. وتذكر قضية الخضر عليه السلام كيف كانت أفعاله معاصي ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: 74] وقد خرق السفينة وقتل الغلام وكل ذلك له محامل ومخارج أخرجته من حيز البعاد إلى حيز ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: 82] فهو قدوة هؤلاء سيما وقد روي أنه أعد له ألف مسألة وكلها على هذا النسق، فليكن أحوال هؤلاء الناس على وزان قضيته، ولا مخصص له دونهم، ولا ثم من يخرجهم عن جريان هذا الحكم عليهم إلا التعصب واتباع الهوى، على أن الحق أرسل الكليم إليه ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ﴾ [الكهف: 66] ولما شرع في تعليمه انظر ما علمه، فكيف يسوغ لأحد إنكار مثل هذه الخوارق الصادرة من هؤلاء.

وهاهنا مسألة دامغة وهي أن تقول: اعلم أن حضرات الأسماء في نفسها تطلب من غيرها الافتقار إلى ما يظهر من أثر انفعالاتها كي تنفعل فيه، ولولا ذلك لتعطلت الأسماء في نفسها ولم تجد منفعلا تنفعل فيه، فكما أن العالم يطلب بما

يقوم به ناموسه الشهادي وهو افتقاره للوجود الوجوبي، كذلك الوجود الحقي يطلب فيمن تنفعل مقتضياته فيه، فهو مستند إلى العالم استناد العالم إلى الحق، لأن الكل طالب لما يقوم به إوده في نفسه: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»[1]، فمنه الفعل ومنا الانفعال، ومنا الانفعال ومنه الفعل، فنحن علة لظهور كمالاته كما أنه صلة لوجودنا. وفي الحس: كل من كان سببًا لإعلاء كلمتك ونشر فواضلك وفضائله تحبه وتنتمي إليه وتسعى له في أكمل المحامد، وهذا سر خطاب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: 222] وما تاب إلا من أذنب فلا يحب في الحقيقة إلا العاصي الخطاء المجرم فهو المحَبّ عند الحق، وما أحبه إلا لأنه سبب في إظهار شؤون كمالاته الذاتية ومقتضيات أسمائه، فلولا ذنوب العبد ما ظهر مقتضى التواب والغفار والحليم والرحيم والرحمان والشفيق والرؤوف، فكانت معصية العبد سببا في إظهار كمالات الحق الحقاني، وكيف لا يحب. وكما كان العاصي الخطاء سببًا في إظهار الحق كذلك المطيع تسبب في إظهار الشؤون الإلهية من الشكور والمعطي والهادي والخالق والمصور وهلم جرا.

فليست محبة الحق منوطة لا بنفس الطاعات ولا بذات المعصية، لأنه في غنى عن طاعة المطيع فلا تنفعه، وفي غنية عن معصية العاصي فلا تضره، وإنما تطيع لنفسك وتعبد لنفسك، وطاعتك منك إليك عليك تقع، ومعصيتك منك إليك عليك تقع، فلا تطيع إلا نفسك ولا تعصي إلا نفسك: (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم)، وإنما محبة الحق منوطة بمن كان أصلا لإظهار مقتضيات شؤونه لا غير وهذا قدر اشترك فيه الطائع والعاصي، فمحبة الحق فيهما على السوية، فكما يحب المطيع يحب العاصي. ولما كان هذا أمر ربما تأنف منه النفوس المحجوبة عنها قدم الحق محبة العاصي على المطيع فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ أي المكثرين من المعصية، ولا تكثر التوبة إلا من الجاني المجرم ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: 222] وقد أرشد الحق لهذا المعنى فعنون عن المذنب الظالم لنفسه بأنه من المصطفين الذين أورثوا الكتاب فقال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة. . ، حديث رقم (395) [1/ 296]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر وصف المناجاة التي يكون المرء في صلاته. . ، حديث رقم (1784) [5/ 84]، ورواه غيرهما.

﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: 32] فقدم الحق تعالى من كان السبب الحقيقي في إظهار نعوت كمالاته وقال إنه أورثه الكتاب لأنه أوقعهم في أنواع الضلالات وسفك الدماء والفساد في الأرض، وليس وقوعهم في ذلك مرادًا له تعالى، وإنما المراد ما ينشأ عن ذلك من إظهار المعاني المعنوية في قالب القوالب الجسمانية.

وأما المقتصد والسابق بالخيرات فأخرهم عن هذا المضمار لأن كمالات الحق بحسبهم لا تظهر في الجملة، ومن لم يظهر كمالاتك في عالم الحس هب أنك أحببته لا تبلغ درجة من كان السبب في ظهور نعوتك ومصدر انتشارها في الآفاق وفي نفسه، فمحبة الحق في المذنب الجاني أقوى من محبته في الطائع، ومن هاهنا يظهر لك سر محبة سيدنا محمد للصديق رضي الله عنه. ولما وقعت المشاجرة بينه وبين الفاروق رضي الله عنه وذهب عنده الصديق فقال: اغفر لي فأبى سيدنا عمر.

وما ثم فرد من أفراد العالم إلا وهو على الصراط المستقيم، فالحق متبوع كل من يدب على الأرض، والدواب كلها تابعة له ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ يقود بزمام الإرادة حيث شاء لا مريد سواه ولا مشيئة لغيره، فما خرج أحد عن حكم التنفيذ السيادي، فما ثم إلا سعيد بهذا الملحظ وإلا مطيع، فما ثم عاص أصلا بهذا اللسان ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: 56] فالرب ماشٍ على الصراط المستقيم وكل من يطلق عليه دابة ناهج نهجه وماش على أثره. فالحق سبب لإبراز المؤمن الخلقي، والمؤمن الخلقي سبب لظهور المؤمن الحقي. فكما أن العالم ممسوك بالحق، لأنه روح العالم وروح الشيء نفسه. وهاهنا قالت الملائكة ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [غافر: 7] فوسعيته عبارة عن قوام العالم به فلولاه لانهد الوجود، كذلك الحق ممسوك بالعالم، فلولا مألوهيتنا لما ظهرت ألوهيته ومربوبيتنا ما ظهرت ربوبيته، ومخلوقيتنا ما ظهرت خالقيته، ومرزوقيتنا ما ظهرت رازقيته وهلم جرا، فهو الممسوك بنا. وفي الحس: الظفر هو الماسك لجارحة اليد من جثتها ولو أزيح عنها قشر الظفر لصارت في زاوية العدم لا تقدر على إمساك إبرة كذلك الظفر ممسوك باليد فلولا وجودها ما كان. فهو ممسوك بنا ونحن ممسوكون به وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه

بعضا»[1]. فهو الظاهر بنا، فما أبصر نفسه إلا بنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ [فاطر: 45] فبهم يبصر نفسه في لباس التكاثر، وفي خطاب آخر قرءاني ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ [فاطر: 31] وهاهنا لسان آخر وهو أنه ورد في الحديث «المؤمن مرآة المؤمن»[2]، ولا مرية أن المؤمن الخلقي إذا كان هو المرآة للمؤمن الحقي فقد انعدمت الصورة المطبوع فيها المرئي واتحد المطبوع بالمطبوع فيه، فما ثمة إلا المطبوع، فالحق هو الظاهر لا العبد وهو محو في عين المرئي، وفي القرآن ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [آل عِمرَان: 26] فما ثم شر يظهر أصلا في الوجود، لأن ليس وجود إلا للحق المطلق وهو حكم على نفسه وأن الخير بيده لا الشر، فقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: 128] فنفس كل أحد وهويته هي الحق، والحق عين كل أحد، والرسول من الله ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا﴾ [البيّنة: 2] ونفس العالم هي الله، فالرسول من أنفس كل أحد التي هي الله، ونفس كل أحد عينه، وعينه ذاته، فنحن أصله ومنا برز وصدر لأنه من أنفسنا جاءنا، ونفسنا هوية إلهية. فنحن أسه وأساسه وكله.

وقلت في الصلاة الأنموذجية: وفجرت عنصر موضوع مادة محموله من أنية أنا الله، تفهم كما أنه هيولانا ونحن صور من صور هيولانياته عزيز عليه أي على النفس المتكثرة في صورة الأنفس، فسماه الحق بالعزيز كما سماه بالحبيب، ولا تفاضل بين الأسماء لأنها عين المسمى، فالذات لا تفاضل فيها، فلا فرق بين المحبة والمعزة. فقوله ﷺ لسيدنا علي عليه السلام لما قال له من تحب أكثر أنا أم فاطمة فقال له سيدنا محمد ﷺ: «أنت أعز وهي أحب»[3]، لا فرق بين التسميتين على أنها جزء من سيدنا علي لقوله ﷺ: «علي مني وأنا منه»[4]، وإذا

---

(1) أورده الشاطبي في الموافقات، المسألة الخامسة [2/ 354]، وأورده أبو العباس أحمد الناصري في الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى [3/ 190].

(2) أورده العجلوني في كشف الخفاء وقال: رواه أبو داود عن أبي رفعة، والعسكري من طرق عن أبي هريرة [2/ 388].

(3) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الميم من اسمه محمد، حديث رقم (7874). ولفظه: «فاطمة أحب إليّ منك وأنت أعز عليّ منها».

(4) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، حديث رقم (32071) [6/ 366]، ورواه أحمد في المسند، حديث رقم (17545) [4/ 165]، ورواه غيرهما.

كان سيدنا محمد منه فهي من سيدنا علي .﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عِمرَان: 118] المراد النفي: ما حصل لكم تعب ولا مشقة ولا نصب لأنكم عين واحدة والحق بيده الخير لا غيره والآي الأخر الناصة على أن الإنسان خلق في كبد وأنه مبتلى فذاك باعتبار خلقيته المشهودة لأقوام، فجلب لهم الحق من الدليل ما تقر به عينهم، لأنه لا يعرفون معرفة أعظم مما هم فيه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعَام: 108] تفهم ما أشرت إليه تظفر بالكبريت الأحمر. فيكون الحق حالة هذا الانطباع هو الظاهر ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ﴾ [الحديد: 3] فما ثم ظاهر غيره.

وإن كان المؤمن الحقي هو مرآة المؤمن الخلقي فقد اتحدت الصورة المرئية في المطبوع فيه ولم يبق حكم للمرآة، فما ثم إلا المؤمن الخلقي هو الظاهر والحق بطن، فالمؤمن الخلقي في بيت المؤمن الحقي ﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف: 23] بأن حاورته بأن تتحد به في صورة المعشوقية إذ ما ثم ذرة من ذرات الموجودات إلا وهي معشوقة محبوبة لأنها مظهرته وكاشفةٌ اللثام عن محياه حتى أبرزته ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ﴾ أي تحت الأرضين السفليات ﴿أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾ [لقمَان: 16] كي ينظر نفسه فيها لأنها راءٍ ومرئي في كل صورة وعرض وجوهر. وقلت:

سمعت الندا من قاب قوسين مرحبا   وأهلا بمعشوقي لسر هويتي

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ [يُوسُف: 23] بأن أبطنت الأسماء والصفات التي هي مظهرة العالم وأحاط الحق به ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ [القيامة: 29]، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي لا مناص عنا ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ وفي الحديث: «حب الوطن من الإيمان»[1] ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ فأنا الحق الخلقي المشبه المنزه فلا أخرج عنه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: 23] وضع الشيء في غير محله ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾ في حالة مسامتة المرائي، فهب أن المطبوع انطبع في المطبوع فيه فلاشك أنه غيره باعتبار ضرورة زوال المطبوع حين عدم المسامتة مع المطبوع، ولو كان عينه لما تباين عند عدم المقابلة، فهذا المعنى هو المعبر عنه بهمها به، فهب أن الاتحاد وقع لكن الغيرية ملاحظةٌ هناك ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: 24] والبرهان

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1102) [1/ 413]، وقال العجلوني: قال الصنعاني: موضوع، وقال في المقاصد: لم أقف عليه ومعناه صحيح.

الحجة من البرهرهة وهي البيضاء من الجواري. وغير خفي أن الحق احتجب عن الأبصار برداء الكبرياء وبإزار العظمة، فحال بينه وبين مشتهاه ما رأى من برهان ربه وهو رداء الكبرياء على وجه الحق. وهذا ملحظ ينظره يوسف المحمدي وموسى المحمدي وعيسى المحمدي وإبراهيم المحمدي ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [يوسف: 24] وهو ما يسوءه ولو انبسطت عليه حرارة التطلع لهذا الجناب لضاع وقته ولم يظفر بما أراد، وعند المآل يسوءه ما أقام فيه مدة هذا الطلب وهو أعز من وجود النار في قعور البحار، ولما كان من المخلصين، بصيغة اسم المفعول، صرف الحق عنه السوء: ما يسوءه والفحشاء: ادعاء الأنانية بنعت التفريد، والحق غيور ومن غيرته أن حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والفحشاء الظاهر هو نسبة رائحة الوجود إليه في قالب الإثبات فما ثم موجود شم رائحة الوجود سوى ما يتوهم من خيال ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا﴾ [مريم: 17] والتمثل ما هو عين جوهر الملك المجرد وما هو عين البشر الصرف، ففيه حصتان: حصة ملكية وحصة بشرية آخذ بالطرفين، وفي الحديث «المؤمن مرآة المؤمن»[1]، فهنا مؤمن ملكي ومؤمن بشري، فإذا كان المؤمن البشري مرآة المؤمن الملكي فقد اتحدت صورة المطبوع في صورة المطبوع فيه حتى لم يكن ثمة إلا صورة المطبوع، وذلك لأنه مهما اجتمع اثنان إلا وكل منهما مرآة للآخر، فواحد منهما معدوم لا بعينه وواحد موجود لا بعينه كما سيقص عليك شأن هذا المنحى لسان الترجمان المحمدي.

وإذا اتحد المرئي في المرآة فلا يظهر حكم للمرآة بل انطبعت صورة المنطبع في المرآة حتى اتحدا، بحيث لو قلت أنهما عينا واحدة صدقت. فهاهنا الموجود بلسان التحقيق هو الملك والمعدوم هو المؤمن البشري، وأما بلسان العموم فالمعدوم واحد لا بعينه والموجود واحد لا بعينه .وهاهنا لو صادفت بعض الأوقات هذه المرآة الملكية كل وما معه من الحصة الملكية الوجود بأسره لما كان معمورًا إلا بالملائكة لا غير، وهم نور صرف، فكل واحد من العالم فيه حصة ملكية من حيث مادة الروح، وحصة بشرية من حيث مادة العناصر، وحصة إلهية. فمهما وقع الانطباع في مرءي في المرآة فما ثم إلا المطبوع، وأما المطبوع فيه فقد اتحد بالمطبوع، إن كان المطبوع ملكا فما ثم إلا الحصة الملكية.

---

(1) رواه أبو داود في سننه، باب في الظن، حديث رقم (4918) [4/ 280]، ورواه البيهقي في السنن الكبرى، باب في الشفاعة. . ، حديث رقم (16458) [8/ 167]، ورواه غيرهما.

وهاهنا قال تعالى في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 75] أي وملكوت الأرض، وغير خفي أن ملكوت السماوات مملوء بالجواهر الملكية المجردة، وملكوت الأرض عامر بالجواهر الملكية إن كانت المطبوعة في المطبوع وكان لها الحكم ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: 75] أي في بساط حق اليقين بأن المطهرين ليسوا في السماء خاصة بل كذلك في ملكوت الأرض. وفي الآية معنى آخر وهو أن ما تحتنا من الأرض الثانية لها سماء كما نحن ووجهها هو ما تحت أرجلنا مما يليهم، فالمرئي لهم هو وجهها وظهر تلك السماء هو ما نحن عليه كما في ما فوقنا نحن من سماء فلك القمر فما فوقها إلا الملائكة، وكذا هذه الأرض التي حللنا فيها فما فوقها إلا الملائكة.

وهاهنا مسألة أخرى من هذا النمط وهي أن تقول: ما ثم ذرة من ذرات الموجودات تتصف بالشيئية مثل الجمادات والحيوانات والنباتات والمعادن إلا ولها حصة روحية ثم حصة بشرية إن كانت بشرا أو حصة جمادية إن كانت جمادية أو حصة نباتية إن كانت نباتية أو معدنية إن كانت معدنية، والكل له روح ناطق به لسانه لقوله تعالى حكاية عن الجلود ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فُصِّلَت: 21] فكل من هو شيء ناطق فله لسان، فيضم مع آية التسبيح ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: 44] فتعطي أن الجمادات لها لسان تسبح به، ومن ضرورة هذا أن لها روحا تدبر هيكلها، وكل حصة روحانية في نفسها لها ملكوت خاص في نفسها، فكل من هو شيء له ملكوت. فآية سيدنا الإبراهيمي خصت للأرض ملكوتا، ولسان الإبراهيمي المحمدي اطلع على أن كل شيء له ملكوت، وفي القرآن ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: 83] وهذا شيء ندركه بلسان الكشف زيادة على الإيمان بالآية، فنرى أن لكل شيء ملكوت في نفسه. ولا يخفى أن كل شعرة في ذاتك يقال لها شيء فلها ملكوت في نفسها، والسن والعين والأنف والأذن واليد والرجل والظهر والبطن والرأس، فللحق في كل مظهر إطلاق، فهو المقيد في نفس الإطلاق والمطلق في نفس التقييد وكيف لا يكون هذا والمرجع إليه فما ثم غيره ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: 21] فلما علم الحق أن النفس تطلب ما غاب عنها وتتشوف إليه تكلم بلسانها وهو لسانها

فقال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: 13] ومن جملة ما في سماء المعاني ما تتكلم به، فآواك إليه ولم يفصل ذاتك عن متمنياتها فجمعك عليك، فإياك أن تخالف نظره فتجتمع بغيرك أو على غيرك وتفترق معك وأنت أنت. وبلسان الخصوص فما سخر ما في السماوات وما في الأرض إلا له فليست لنا رائحة الملكية أصلا، إنما نحن أسارى بين يدي الحق نقول كما قال نبي الله: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص: 24]. فلما طرق الأذان خطاب ﴿وَسَخَّرَ لَكُم﴾ راجت النفس في إثبات الملكية لها فوقع خطاب منه آخر الآية فانفصم الظهر وشهدت لنفسها بالرقية وللرب بالحرية الذاتية ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [الجاثية: 13] حال كونكم ﴿مِّنۡهُ﴾ [ق: 19] فما سخرها إلا له، فإياك أن تشم رائحة الملكية لك فيبدو لك من الله ما لم تكن تحتسب. فنحن قوم تركنا الحق يتصرف لنا.

ومن اطلع على هذا العلم سلك مسلك التماس المعاذير لأفراد العالم، لأنه غير عجيب أن يكون كل مرئي لك في بساط ﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم: 17] فبشر نفسك بأنك رأيت ملكا من الملائكة، إنما في صورة امتحانك بسبب دعوى ادعيتها. وقد بلغنا أن عابدا من العباد تمكن في بساط الرياضة بحيث تعجبت الملائكة من كثرة تصاعد عباداته، فأذنت طائفةٌ الحق في زيارته فأذن لها وقال: بشره بأنه من أهل النار، فبمجرد إخبارهم له انبسط وقال: كنت أظن أني لا أصلح حتى للنار فلما صلحت لإحدى داريه يا هناءتي، فإذا بالنداء: بشروه بأنه من أهل الجنة، وفي هذه القضية اعتبارات.

وأما في بساط مبشرة أوتيتها من قبل ربك ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ۝٥٣﴾ [الحجر: 51-53] ألخ القضية، وأما في بساط زيارتك.

وقد بلغنا أن بعضهم كان مسجى بثوبه في ليلة القدر في بعض المساجد مشغول بما منه إلى ربه وبما من ربه إليه، فجاءه جاءٍ وقال له: لم لا تصلي؟ فقال له: أتذهب لحالك أو أقول لهم هذا جبريل؟ فاستتر. وكم لله من ولي لا يعرفه الخضر ولا جبريل ولا ميكائيل ولا غيرهما من الأفاضل.

وأما الفحشاء الباطني في الحديث المتقدم فهو أن لا يخطر في جو سماء عوالمه سحب لسن تشكيكات رائحة الملكية لذرة من ذرات العوالم، فما ثم إلا الالتحاف بثوب العبودية الناقصة، وإلا فالعبودية الكاملة انقطعت بانقطاع دائرة نبوة التشريع. ومن هاهنا تعرف نقص أرباب التصرفات في الكون وسوء حظهم حيث رضوا بذلك القدر من المعرفة ولم يطلبوا الزيادة من العلم بالله كما أمر نبيهم وهم مأمورون باتباعه، على أن المتصرف ليس له حظ في بساط الفتوة أولا. وقد قال لي الحق يوما: كل من أحبك أدخلته الجنة وكل من أبغضك أدخلته النار، فقلت: لا يا رب كل من أبغضني أدخله الجنة، ثم قال لي: كل من أحبك أدخله الجنة ومن أبغضك أدخله الطبقة الثانية من النار، فقلت له: لا يا رب كل من أبغضني أدخله الجنة الثانية، ولا زلنا في بساط المباسطة هكذا ما شاء الله، وفي كل مرة يذكر طبقة من الطبقات السبع النارية وأذكر أنا في مقابلتها طبقة من الطبقات السبع من الجنان إلى أن قال في المرة السابعة: ومن أبغضك أدخلته النار فقلت أنا بأثر كلامه، أتكلم لما لي من المحبوبية معه، ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: 91] وكل من أبغضني أدخله الجنة السابعة، فلم تبق نار من النيران تذكر وانفصلنا عما ذكرت آخرًا.

ثم ليس له حظ في بساط شهود أن لا فعل لذرة من ذرات الموجودات أصلا، فإنما هي مصادر لصدور الأفعال عنها وليس الفاعل فيها حقيقة إلا الله، وفي القرآن ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17] لا يخفى أن حس البصر إنما رأى الرمي يصدر من محمد وبه جاء النص في قوله إذ رميت ثم نفى الحق عنه هذا المعنى فقال: إن محمدًا ما هو الرامي بل الله هو الرامي في صورة محمدية، فأثبت ونفى ونزه وشبه وفرق وجمع وأثبت أن الصورة المحمدية مسماة بالله كما أنه يسمى بمحمد لأن محمد في اللسان العربي هو من كثر حمد الغير له، فلما قام به وصف صح أن يشتق له منه اسم وهذا موجود هنا، وقد حمد الحق سبحانه نفسه بنفسه وحمدته شؤونه ونعوته وكمالاته قبل القبل فيسمى بمحمد. وقولهم إن أسماء الله توقيفية لم يرد لنا نص يقتضي ما قالوه، وإنما وردت النصوص بأن أسماءه ليست توقيفية. وقد أخبر الحق بأن هويته عين قوى سائر قوى العبد، فيد العبد التي يبطش بها يد الحق، ولسانه الذي يتكلم به لسان

الحق، ورجله التي يمشي بها رجل الحق، ومن لا يؤمن بهذا الحديث كغيره فهو كافر أي يستر وجود الحق الظاهر في كل مظهر بوجود العبد. فكل مظهر من المظاهر اسم من أسماء الحق، والاسم عين المسمى فما ثم إلا هو، فهو هو والعبد ما هو هو، وما ذلك إلا لأنه هو بدون هو، فليست أسماؤه توقيفية. وفي الحديث: «عبدي مرضت فلم تعدني»[1] فجعل نفس هويته عين العبد المريض وهو لسان تحقيق الجمع، ثم تكلم بلسان التفرقة في صورة التنزيه فقال في جواب: «وكيف أعودك وأنت رب العالمين فقال: أما علمت أن عبدي الفلاني مرض ولو عدته لوجدتني عنده»[1]، فنزه وشبه أيضا وفرق وجمع وأطلق وقيد. وفي الحديث أيضا: «عبدي اشتقت إليك فلم تزرني»[2]، وفي الحديث: «عبدي استطعمتك فلم تطعمني»[3]، فجعل المسؤول المسمى بالله وجعل نفسه نفس السائل ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: 29] «عبدي استكسوتك فلم تكسني واستسقيتك فلم تسقني»، فآمن يا ولي بعين اللفظ المنزل من عند الله كي لا تفوتك درجة التصديق فتزيدها على عدم درك المقام والمقام فيه فتجمع على نفسك نقيصتين.

فالقائل بالتنزيه بدون تشبيه محدد أي حدد الحق في شأن واحد، ومعطل لأنه عطل الحق عن الاتصاف بصفات وصف نفسه بها، ومعتزلي لأنه اعتزل إيمان أهل الله فلم يظفر بكونه من أهل القرآن وأهل القرآن أهل الله، ولا شك أن الأهل لهم الاطلاع على شؤون رب بيتهم، فلو كانوا من أهل القرآن لكانوا أهل الله، ولما لم يؤمنوا إلا بما أولته أنظارهم وأفكارهم ما آمنوا بالقرآن فليسوا من أهل الله، فهم معتزلة ومعطلة ومحددة في نفسهم ومع ذلك يشيرون أو ينعتون ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت: 6] الذين أشركوا نظرهم مع نظر الله فرجحوا نظرهم على نظره فهم مشركون ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: 7] من نفوسهم حتى

---

(1) (2) (3) رواه البخاري في صحيحه، باب فضل عيادة المريض، حديث رقم (2569) [4/ 1990]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الخبر الدال على أن هذه الألفاظ من هذا النوع أطلقت بألفاظ التمثيل والتشبيه على حسب ما يتعارفه الناس فيما بينهم دون الحكم على ظواهرها، حديث رقم (269) [1/ 503]، ورواه غيرهما.

يحصل لهم الذوبان والانمحاق في وجود يم الذات، وغير هذا من الأخبار الجائية بلسان الرسل، فأهل الفكر والنظر من الذين يومنون ببعض ويكفرون ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلًا ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النساء: 151] أي الساترون بأوهامهم ما وصف الله الحق به نفسه ﴿حَقًّا﴾ [البقرة: 180]. فليس لأحد فعلٌ أصلًا، فما ثمةِ وجود إلا للحق، فالخلق المشبه هو عين المنزه، والحق المنزه هو عين الخلق المشبه فهو الخلق المشبه: «خلق الله آدم على صورة الرحمان»[1]، وإذا كان مخلوقا على الصورة الإلهية ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ [الانفطار: 8] فهو صورتك وأنت صورته ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: 53] الظاهر في الآفاق وفي أنفسهم، فليس الظاهر في الأكوان إلا الحق، وهذه الآية من أعظم النصوص الدالة على ما ندعيه من وحدة الوجود كذلك المشبه من غير تنزيه محدد ومعطل ومعتزلي كما قدمنا.

فالراسخ في العلم يكون منزهًا في عين تشبيهه ومشبهًا في عين تنزيهه، وما رأينا نصا ذكر الحق فيه التشبيه إلا وأعقبه بالتنزيه أو قدمه عليه كالعكس. وهذا علم كبير أهله يقولون ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: 7] لكن ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: 269] الذين كوفحوا بحقائقهم فوجدوها مستورة بالوجود المطلق فهي لب لاقشر فهم ألوا الألباب، وفرق بين اللب والعقل خلاف ما يشتهر، فإن العقل فيه رائحة العقال فيشعر بالتقييد بخلاف اللب فهو في نفسه لطافة ساذجة.

وغير هذا من الملاحظ التي فاتت المتصرف مع ما فيه من كونه ظفر برائحة الملكية. وقد اجتمعت بالجيلاني يومًا في بعض الحضرات فقلت له: أريد محاورة معك، فقلت بعد كلام عجيب: لما قال الحق: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: 7] توهمت عوالمنا بأن لنا رائحة الملكية لأنا استخلفنا فكان ما استخلفنا فيه لنا، فلما فرحنا بهذا هب نسيم ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: 9] أي في نفس ما استخلفتم فيه فانزاحت عنا رائحة الملكية ولم يبق تشبث إلا بقول الكليم

---

(1) هذا الحديث سبق تخريجه.

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: 24] فقلت له: وأي شيء كنت تفعل مدة وجودك، لأنه أقيم في بساط الاسم الظاهر فأطرق زمانا وقال: في ذلك أقمت، وما كان يسمن هذا الجواب ولا يغني من جوع فتركته وذهب قاصدًا مستقري تاركًا الكون ومستتبعاته ومتعلقاته من وراء وراء داخلًا في ثناء ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾ [الأنعام: 94] بينكم بقراءة من قرأ بالرفع.

انتهى الكتاب المبارك،

رضي الله عن مؤلفه ونفعنا به بمنه وكرمه

فهرس المحتويات

AṬ-ṬALĀSIM FĪ AL-KAMĀLĀT AL-MUḤAMMADIYYA

By

Al-Imam Mohammed ben Abdulkabir Al-Kitany

(D. 1327 H.)

Edited By

Dr. Assem Ibrahim Al-Kayyali

